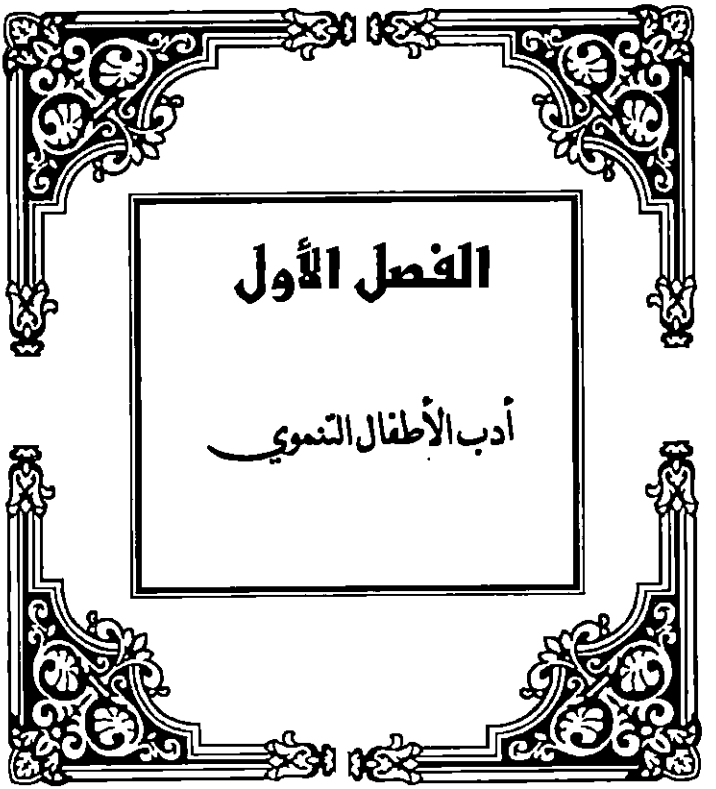
الفصل الأول
أدب الأطفال التنموي

مدخل:

يتمتع الطفل باهتمام الدين الإسلامي به اهتماما شديدا ، يمتد من قبل ميلاده ، إلى فترة حمل الأم به ، ثم بعد ميلاده ، من هنا فقد وضع من التوصيات والشروط ما يضمن له تنشئة صالحة سوية ، وذلك لما يناط بهذا الطفل من مهام في بناء أمته وتقدمها ، حاضرا ومستقبلا .

ولا شك أن العناية بثقافة الأطفال وتنميتها إنما هي استجابة لهذه التوصيات والشروط التي وضعها الإسلام لضمان النشأة الصالحة السوية لهذا الطفل .

وأدب الطفل – بعد مبادئ الدين – من أهم مكونات هذه الثقافة ووسائطها ، بل قد يكون هذا الأدب من الوسائل المهمة في التربية لهؤلاء الأطفال في الوقت نفسه عندما تصبح القيمة الإسلامية جوهر هذا الأدب في تشكيل فنونه المختلفة .

ويعد الاهتمام بأدب الطفل من أهم متغيرات حياتنا اليوم ، كما أصبح هذا الاهتمام مقياسا حضاريا لمدى ما يوليه شعب من الشعوب لهذا الأدب من عناية ورعاية .

ولقد تعددت المؤسسات الحكومية والأهلية ، العربية والإسلامية والأجنبية التي تهتم بأمر الطفل ، وتعتني بأدبه كمشروع "القراءة للجميع" الذي تشرف عليه السيدة سوزان

مبارك في مصر ، وكقسم الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سواء بإصدار قصص الأطفال أو الكتيبات التي تتابع بالتقويم والنقد ما يصدر من مؤلفات لهذا المستوى من أبنائنا .

بل إن إنشاء كليات رياض الأطفال ، ومراكز رعاية الطفل الثقافية والفنية لظاهرة تدعم هذا الاتجاه العالمي في رعاية الأطفال وأدبهم ، وليس عقد النادي الأدبي بأبها لمسابقة أدب الطفل إلا لونا من ألوان الاهتمام بهذا الأدب ، رعاية للأطفال ، وإسهاما في التشكيل السوي الصالح لهم .

وبرغم تعدد كتاب هذا اللون من الأدب في العالم العربي والإسلامي ، فما يزال ما يصدر من كتب للطفل بصفة عامة في العالم العربي قليلا ، بحيث لا يمكن أن يقارن بما يصدر في بلد كأمريكا ، التي بلغ ما أصدرته من كتب لأطفالها مائة ألف كتاب سنة ١٩٨٣م ، مثلا ، في مقابل ما يقرب من أربعة آلاف كتاب في العالم العربي ، وعدد الأطفال لديهم لا يزيد كثيرا من عددهم في الوطن العربي ، وعدد النسخ المطبوعة لديهم أضعاف أضعاف ما عندنا ، وهم بذلك يهيئون أطفالهم للتفوق الدائم على العالم . لأن الكتب من أهم مصادر

التنمية الثقافية ، التي هي أساس التقدم ، والتحرر من الظلمة إلى النور .(**)

من هنا يتضح لنا النقص الشديد فيما يحتاج إليه أطفالنا في هذا المجال كما وكيفا وحبذا لو جعلنا مناط اهتمامنا نوعية ما نقدمه لأطفالنا من كتب ، وأن تتعدد اختصاصات من يولون ذلك الأمر اهتمامهم حسب التقسيم الإنساني للعلوم والمعارف .

ويعنيني هنا ما نقدمه لأطفالنا من أدب يسهم في تشكيل ثقافتهم وتنميتها ، لتتجلى فاعليتهم في الحاضر والمستقبل ، وبرغم أن الكتابات في هذا المجال متعددة ، فما يزال يعوزنا ما يمكن أن نسميه " أدب الطفل التنموي " ، وهو ذلك الأدب الذي يتجاوز بالقصة والمسرحية والمنظومة وغيرها من فنون أدب الطفل مهمة غرس القيم إلى تنمية الإحساس بها في نفوس الأطفال ، واستثمار وسائل الاتصال المختلفة في تحقيق غاياته التي سوف يفصلها هذا البحث إن شاء الله ، من خلال القسم التنظيري الذي أعرض فيه لأهم محاور هذا الأدب وهي : الصحوة الإسلامية ، واستثمار نتائج العلم والتكنولوجيا ، والثقافة التنموية التي تمثلها كثير من القيم الجديدة البانية ولذلك فهو يهتم

(**) انظر عبد المنعم الصاوي , الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٤م , كتب الأطفال ومجلاتهم في الدول المتقدمة . القاهرة من ٢٨ يناير – ٢ فبراير ١٩٨٤م . الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٥م ص١٩, ٢٠, ٣١ ,٦٢

بحاضر الطفل ومستقبله ، وهذا ما يميزه عن غيره مما يقدم للأطفال من أدب .

من ثم تأتي النماذج الأدبية للأطفال من قصة ومسرحية في القسم الثاني التطبيقي ، والتي أعرض لها بالمعالجة والتحليل للكشف عن كيفية توظيف المحاور السابقة في هذه النماذج الأدبية للأطفال حسب مراحل سنيهم التي حددتها الدراسات النفسية والتربوية .

وربما لم يكن مصطلح " أدب الأطفال التنموي " في اعتبار كتاب هذه النماذج الأدبية التي قمت بمعالجتها وتحليلها هنا ، كشواهد على هذا الأدب ، لكن الذي لا شك فيه أن هؤلاء الكتاب ، وهم يكتبون هذه الأعمال الأدبية للأطفال ، كانوا يستهدفون من ورائها كثيرا من الغايات والأهداف ، وأنواع السلوك الراقية ، وتنمية كثير من المشاعر والأحاسيس التي يتغياها " أدب الأطفال التنموي " كما كانوا حريصين على الاهتمام بالأطفال وثقافتهم وتنميتهم ، وتهيئتهم للمهام والمسؤوليات المنوطة بهم في حاضرهم ومستقبلهم .

ولعلى بهذا البحث الذي يجمع بين التنظير والتطبيق ، والتحليل الفني للنصوص ، وإبراز الخصائص ، أكون قد حققت أمل بعض أصحاب الدراسات المستقبلية الذين دعوا إلى فكرة "

أدب الطفل التنموي " خلال بحوثهم الاجتماعية(***) كما حاولت أن أربط حياة الطفل المسلم وأدبه بأحدث المتغيرات ، واقترحت من البدائل ما يحقق لأدب هذا الطفل التنمية الثقافية المرجـوة ، والمتعة الوجدانية ، مع المحافظة على أصالتنا وكينونتنا و فـي عالم جعلته وسائل الاتصال الحديثة قرية صـغيرة ، تتجاذبهـا ثقافات لا حصر لها ، منها ما يبني ، وقد يكون كثير منها يهدم .

والله نسأل لنا ولأطفالنا العون والهداية.

(***) انظر على سبيل المثال : د. محمد عماد زكي ، تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠

القسم الأول

التنظير

* المفهوم .. ومشروع الأمة :

للطفل – وهو أول حلقة من حلقات حياة الإنسان – مكانة متميزة في رؤية الدين الإسلامي ، كما يشغل الاهتمام به مساحة واضحة في مبادئه وتوجيهاته ، وحبذا لو جسدنا ذلك ليخرج هذا الأمل من حيز القوة إلى مجال الفعل ، حتى نضمن نشأة أجيال سوية قادرة على تحمل مسؤولية بناء أوطانها وأمتها في الحاضر والمستقبل ، وكما يبغيه لها المخلصون من أبنائها ، خاصة والاهتمام بالتنمية والحياة المستقبلية أصبح هما شاغلا لكثير من الشعوب ، فيما يسمى " بعلم المستقبل " ، الذي يختص بكل التصورات والتخطيط لأبعاد هذه الحياة المستقبلية ، ومن هنا يصبح " أدب الطفل التنموي " ركيزة أساسية في بناء الأطفال . ليصبحوا قادرين على بناء الأمة القوية الواعدة .

ونعني " بأدب الطفل التنموي " ذلك الأدب الذي يوظف أشكاله الفنية المختلفة من تمثيلية ، وقصة ومنظومة ، وغيرها من أجل الطفل ، فيراعى المرحلة السنية ، والاحتياجات النفسية ، لإشباع ميول هذا الطفل ، وتنمية اتجاهاته السوية ، واضعا في

اعتباره المستقبل ومتغيراته ، كما يستثمر وسائل الاتصال المختلفة للتأثير في هذا الطفل بالجوانب الفنية فيه ، فيحضه على قيم وعادات سلوكية وأخلاقية ، ترقى به وبمجتمعه ، إذ يصبح عضوا فاعلا فيه ، عندما يصل إلى المستوى الجسمي والنفسي والعقلي الذي يسمح له بذلك . من ثم فهو يعني بتقديم مفهومات بسيطة لكل القضايا والخطط والمشروعات الآنية والمستقبلية للأمة ، حتى نضع الطفل في المستوى الذي يسمح له بالاتصال بقضايا أمته والتفاعل معها ، ونهيئه لإدراك أبعاد العملية التنموية لها(١) ، دون أن نثقل تفكيره ، بما هو فوق مستواه من خطط ومشروعات وأرقام ، وفي الوقت نفسه لا نحول بينه وبين المتعة الوجدانية في هذا الأدب .

ولا تنفصل هذه الجوانب الموضوعية عن الوسائل الفنية التي تجسدها ، في هذا الأدب من لغة ملائمة لمستوى الطفل ، لا يعوزها الجمال الفني ، كما تثري محصلته اللغوية ، وتصقل تمثله الدلالي لمفرداتها ، كما لا تنقصها الأشكال الأدبية المختلفة التي تجتذب ذوق الطفل ، وتنمي حسه الجمالي .

" وإذا كان الإبداع بعامة عنصرا من عناصر الثقافة ومكوناتها ، فالأدب في الوقت نفسه تجسيد لهذه الثقافة بواسطة اللغة ، ولذلك فإن فنون الأدب المختلفة تحمل مضمونات مجسدة

فنيا "(٢) وسوف نشير إلى كثير من خصائص اللغة التي يوظفها أدب الطفل التنموي فيما سيأتي إن شاء الله .(****)

ولا شك أن ثقافة الطفل دعامة أساسية في تكوين الأجيال ، فإذا صلحت استقامت حياتهم ، وحققت الغايات المنوطة بهـا ، ولن تصلح هذه الثقافة إلا إذا اعتمدت على أساس متين من الدين الإسلامي في كل ما يقدم لهذا الطفل ، لتتحقق النشأة الـصالحة التي نرغب فيها ونرجوها لتلك الأجيال إن شاء الله ، كما تؤدي دورها مستقبلا في انتشار هذا الدين ، والحفاظ عليه .

ولعل إشباع الاهتمامات العقدية في مراحل حيـاة الطفـل الثلاثة ، المبكرة والمتوسطة والمتأخرة ، تكون في مقدمـة مـا نحرص عليه في نشأة هذا الطفل ، وهنا سوف نجد أدب الطفـل بفنونه المختلفة ، مسرحية وقصة ومنظومة وغيرها مـن أهـم الوسائل التي تشكل الوسائط التي من خلالها يـتم تزويـده بمـا نبتغيه له من عقائد وقيم تبنيه ، وتسهم في نشأته نشأة صالحة و وتهيئه للرسالة المنوطة به مستقبلا .

فعلاقته بالله سبحانه وتعالى يجب أن تقوم علـى الحـب ، والولاء والطاعة خاصة في بداية مرحلة الطفولة المتوسطة من (٦ : ٩ سنوات) عندما يعلم أن خلق الله للإنسان ورعايته لـه ، يقتضيه أن يتوجه له سبحانه وتعالى بالعبادة والشكر والطاعة ،

(****) انظر الصفحات : ٤١، ٤٢، ٥٦، ٦٨، ٧٨، ٨٠ من هذا البحث .

لقاء هذا الخلق ، وتلك الرعاية ، وهنا يمكن أن تنجح الأشكال الأدبية الخاصة بالطفل في دعم وتثبيت هذا التوجه ، ولا نتجاوز الحب والولاء إلى شئ من الشدة ، إلا في نهاية هذه المرحلة وبداية مرحلة الطفولة المتأخرة ، من (١٠ : ١٢ سنة) ، فحديث رسول الله ﷺ خير هاد هنا إلى السبيل القويم ، وهو ينصح بتربية الأطفال لأداء الصلاة " مروهم بها لسبع واضربوهم عليها لعشر " . والضرب هنا توجيهي تعليمي تربوي ، وليس قسوة أو شدة مثبطة معوقة .

ويمكن أن نقيس على ذلك ، الشعائر والأخلاق التي يكون في استطاعة الطفل الامتثال لها ، وأداؤها ، كالصوم ، والصدق ، والإخلاص ، والأمانة وغيرها ، خاصة إذا وجد من حوله القدوة الصالحة في البيت والمدرسة ، وقدمت له وسائل الإعلام والاتصال ما يدعم هذا التوجه .

ويرتبط بذلك مواجهة مشكلات الطفل الحياتية التي يعايشها ، كعلاقته بالآخرين بدءا من والديه وإخوته ، ثم مدرسته ، ومجتمعه الكبير ، حتى نصل إلى علاقته بأمته والعالم من حوله .

وإن مشروعا تتبناه الأمة في هذا المجال اعتمادا على الأسس السابقة ومثلها لكفيل بتحقيق كثير من الغايات التي نبتغيها ، على أن يكون " أدب الطفل التنموي " بفنونه المختلفة الركيزة

الثقافية لتجسيد خطوات وإجراءات هذا المشروع ، فيجد من التمثيلية في المدرسة ، والإذاعة المرئية والمسموعة ، ما يحقق له علاقة سوية بوالديه وأسرته ومدرسته ومجتمعه وأمته ، ومعلمه ، بحيث يصبح فاعلا ، فتناقش مثل هذه التمثيليات كثيرا من القيم التي تثبت في نفسه احترامه للكبير ، وإخلاصه في عمله ، وحبه لأمته ، وتمسكه بدينه ولغته وحرصه على وقته ، وبناء وطنه والمساهمة في مشروعاته وتقدمه في الحاضر والمستقبل ، وإن توظيف سيرة الرسول ﷺ وأخلاق صحابته رضوان الله عليهم ، وسلوك أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام في قصص يتناسب ومراحل سني أطفالنا ، ليثبت في نفوسهم وعقولهم ووجدانهم التمسك بالحق والثبات على المبدأ ، والإخلاص في العمل ، وما أحوجنا لهذه الصفات ، وتلك الأخلاق في بناء أجيال تعتمد عليها الأمة لتحقيق ذاتها في عالم تعوزه مثل هذه الصفات ، وتنقصه تلك الأخلاق لترقي روحه ، ويستقيم بناؤه ، حتى نحقق تصور القرآن الكريم ، " كنتم خير أمة أخرجت للناس " .

ولعل في تأليف منظومات شعرية تحبب إليهم العمل وإتقانه ، والنظام والالتزام به ، والإسهام في مشروعات الوطن والحفاظ عليه ، وغير ذلك من القيم التي سوف نشير إليها والتي نحن في أمس الحاجة إليها لبناء مجتمعاتنا بناء سويا ، ما يسهم في

تشكيلهم كلبنات صالحة في أمة يمكن أن ترود العالم نحو الخير والحق والبناء ، بفضل دينها وما يدعو إليه من قيم ومبادئ .

وهنا ونحن نولي ثوابتنا هذا الاهتمام الواجب ، علينا أن نستفيد من المتغيرات بما يسمح لنا بإثراء هذا " المشروع " فيما يعوزنا الاستفادة منه ، سواء بالإفادة المباشرة ، أو البحث عن بدائل تتوافق مع ديننا ، وتقاليدنا وأعرافنا ، كما سوف نشير إلى شئ من ذلك فيما يأتي ، كذلك يجب أن يراعى ما أشرنا إليه من أسس مقترحة فيما تقدمه للأطفال وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة مسموعة و ومرئية ، كأفلام الكرتون والتمثيليات وغير ذلك من برامج الأطفال ، كذلك ما تقدمه الصحف والمجلات المختصة بالأطفال من مواد إعلامية تثقيفية وتوجيهية .

وإن نظامنا في مدارسنا وجامعاتنا لحري به أن يتغيا هذه الغايات ، وأن يحرص المسؤولون عنه ، على العمل على وضع المناهج والطرق واقتراح ورش العمل التي تسهم في تحقيق هذه الغايات لبناء الطفل المسلم ، الذي يمكن أن ننيط به ما نرجوه ونأمله في إيجاد الأمة الصالحة القوية ، التي ترعى ربها ودينها ولغتها ، وتحافظ على حياتها قوية مستقيمة ، وتسهم في تقدم العالم ونهضته .

وهكذا تتعاون الأجهزة الرسمية في الوزارات المختلفة ، والمؤسسات التي تختص بتربية الطفل وتنشئته ، والأسرة ، مع

المبدعين الذين يكتبون للطفل ، فتتشكل ثقافة سليمة صالحة ، تسهم في تنشئة أجيال سوية قادرة على تحمل المسؤولية ، وأداء دورها في ترقية أمتها ، وسعادتها في الحاضر والمستقبل ، وانتشار دين الله في كل مكان ، عندما يحملون مسؤولية ذلك ، ويكونون قدوة فيما يؤمنون به(٣) .

* أهم المحاور والقضايا :

آن لأدب الطفل أن يتجاوز تحقيق المتعة والتسلية ، ليسهم بشكل فاعل في بناء هذا الطفل بناء سليما ، وتهيئة رجل الغد للمهام المنوطة به ، تهيئة حضارية سوية ، خاصة ونحن نستقبل القرن الحادي والعشرين ، بما يرهص به من متغيرات كبيرة وخطيرة ، تستوجب الاستنفار لكل الأجهزة والمؤسسات المعنية بأمر الطفولة ، حتى تضع خططها وبرامجها لهذا التشكيل الخاص للطفولة ، كي تواجه هذه المتغيرات بنجاح وفاعلية ، ومن ثم يتحقق ما ننيطه برجال الغد من مهام ومسؤوليات .

والتنمية الثقافية من أهم المداخل لتحقيق هذا التشكيل ، كما أن أدب الطفل في الوقت نفسه من أهم الوسائط لهذه التنمية الثقافية المرجوة ، وهي فرع من الثقافة بصفة عامة ، حتى ليمكن أن نسميه " أدب الطفل التنموي " ، كما أشرنا سابقا ..

فما هي أهم محاور هذه التنمية الثقافية التي يمكن أن يتمثلها أدب الطفل التنموي ويعمل على تجسيدها وتحقيقها فنيا ؟ وإذا كانت هناك متغيرات نرفضها فما هي البدائل التي يمكن أن تنسجم مع ديننا ، وأعرافنا وتقاليدنا ، وتسهم في بناء أطفالنا ، وتحقيق ما نبتغيه منهم ، وما نرجوه لهم ؟

يمكن أن يكون من أهم هذه المحاور : الصحوة الإسلامية الشاملة ، والعناية بالعلم والتكنولوجيا ، والثقافة التنموية ، وقد تكون هذه المحاور : ليست بالجديدة ، ولكن الجديد هو توظيفها لتحقيق غايات أدب الطفل التنموي .

* أولا : الصحوة الإسلامية :

بالنسبة للصحوة الإسلامية ، فإن مناقشة أهم معالمها وظواهرها ، ومستجداتها ، وكيف يتصل أدب الطفل بها ، ويجسدها قد يكشف عن بعض جوانب هذا المحور المهم .

لقد أصبح " علم المستقبل " من أهم العلوم التي تهتم بها الشعوب المتقدمة لمواجهة تحديات الحياة والتصدي لمتغيرات القرن الحادي والعشرين ، وهو القرن الذي بدأ ، ولذلك فنحن بحاجة إلى أدب للطفل يمكن أن يحقق التربية المستقبلية الثقافية القادرة على تنمية قدرات وطاقات نوعية ذاتية ، تكافئ وتغطي حجم ما يعانيه حاضرنا من نقص ، حتى نهيئ أطفالنا لمواجهة

تحديات المستقبل ، وصناعة هذا المستقبل الذي نريده ، وبناء الثقافة الذاتية للطفل ، وتعميق الأصالة الحضارية في وجدانه ، وتحصينه من الداخل في وجه الثقافات الوافدة(٤) التي تحاول أن تلفحنا ، وتقتلعنا من جذورنا ، لتحقق تبعيتنا لها ، عندما نفقد شعورنا بأصالتنا وذاتيتنا ، من هنا كانت الصحوة الإسلامية من أهم عوامل الإحياء والبعث وتأكيد ذاتيتنا وجلاء أصالتنا ، ومن أهم دعائم هذه الصحوة الإسلامية ، تمثل القرآن الكريم ، والاستفادة من حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام وسيرته الشريفة ، وإحياء تراثنا إحياء يجعل الماضي بفضائله دافعا للحاضر ، واستثمار إيجابياته ، وترك سلبياته ، لصناعة المستقبل الذي يسعى المسلمون خلاله إلى فتح عهد جديد في كافة المستويات الإنسانية ، انطلاقا من المفهومات والتصورات السوية المعتدلة(٥) التي يحث عليها الدين الإسلامي ، والتي حقق بها سلفنا الصالح السبق والهيبة والفاعلية ، وبذلك تجسد هذه الصحوة سلوك الإنسان ونشاطاته الفكرية والاجتماعية والأدبية .

وعلى مستوى الكبار فنحن بحاجة إلى أن نعرفهم بالمخاطر التي تحيط بالإسلام للكيد له ، والتآمر ضده ، حتى نرشد هذه الصحوة ، وتعم جميع المجتمعات ، ولتقوم على قيم الإسلام من حرية وعدالة ، وصيانة للإنسان في عقيدته وعرضه ودمه

ومآله(٦) ، والحرص على هذه القيم والمبادئ وأمثالها مما يكشف عن عظمة الإسلام ، وأهميّة ما يدعوّ إليه .

وبالنسبة لأطفالنا ، يمكن أن يقدم لهم أدب الطفل التنموي بأشكاله المختلفة ، – من قصة ومسرحية ومنظومة – نماذج للشخصيات الإسلامية التي تتمسك بالدين الإسلامي ، ويتجلى في سلوكها الثبات على المبدأ ، والحرص على كشف زيف المغالطين ، والمنافقين ، وإبراز الحقيقة التي يتغافل هؤلاء المعاندون عنها .

والقرآن الكريم حافل بكثير من النماذج التي يمكن أن توظف مواقفها في الكشف عن ذلك ، كسلوك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، كإبراهيم ونوح وموسى وعيسى وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي جاء بالإسلام لهداية كل البش ، وبرغم أن هناك كثيرا من قصص الأنبياء للأطفال ، لكنها تعتمد تاريخ الشخصية وتسلسله الزمني ، بينما البديل الذي يمكن أن يحقق ما نبتغيه هنا ، هو أن يجلي كاتب أدب الطفل فنيا موقف التصدي للمخالفين ، ومحاولة إقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، والصبر على جدالهم وعنادهم ، والتواضع في مخاطبتهم ، والبساطة في إقناعهم ، واليقظة لحيلهم ، وانعكاسات ذلك على الآخرين من المخالفين والمعاندين ، الظاهرين وغير

الظاهرين ، حتى يتجلى الحق ويسود ، ويتضح الخير وينتصر ، ويدخل هؤلاء المخالفون في دين الله .

وكذلك يمكن أن يكشف أدب الأطفال التنموي عن هذه الصحوة ، ويدعمها في نفوس أطفالنا وعقولهم ، وينمي إحساسهم بها ، عندما يوظف أفعال الأسوياء من النماذج الإنسانية الأخرى التي يضرب بها القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة ، والتاريخ الإسلامي المثل والعبرة ، ويجد فيها الطفل القدوة الصالحة ، كنموذج الاستشهاد في سبيل الله دفاعا عن الحق ، أو بر البنوة ، وطاعة الأبناء لآبائهم ، أو الأمانة ، أو التعاون أو الشورى ، وغير ذلك ، كما يجد أطفالنا في هذا الأدب الفكرة العقدية التي يمكنهم استيعابها ، وفي عرضنا " لقصص من التاريخ الإسلامي " للشيخ أبي الحسن الندوي ما يمكن أن يكشف عن بعض هذه الجوانب ، وذلك فيما سيأتي إن شاء الله(٧) .

وهنا سوف نجد ملمحا متميزا في قصص الأطفال يناسب تعقد الحياة ، وزخم المعلومات الذي أصبح طابع عصرنا ، يتضح ذلك في كثير من قصص الأطفال التي تتخذ المعاني المجردة عنوانات لها ، كالشجاعة ، والصدق ، والذكاء وغيرها ، وإن كان تجسيد القصة لها سوف يتم من خلال إعادة تشكيل مواقف السيرة النبوية الكريمة ، أو أحداث التاريخ الإسلامي ، وصياغتها صياغة قصصية تناسب مراحل نمو الطفل المختلفة ،

وتحقق الغايات المنوطة بتنمية مواهب أطفالنا ، وتهيئتهم لمواجهة واقعهم ومتغيراته ، ومن ثم إعدادهم للمستقبل وتطلعاتنا إليه ، كما في سلسلة " أطفالنا " التي يصدرها المشروع الإعلامي لهيئة الإغاثة العالمية ، وسوف نشير إليها أيضا فيما سيأتي إن شاء الله(٨) .

ويستطيع أدب الأطفال التنموي أن يسهم في ربط أطفالنا بجذورهم ، وزرع بذور الأصالة والمناعة الحضارية فيهم وتحصينهم ضد كل أشكال الغزو الثقافي ، وبذلك نحميهم من الذوبان مستقبلا في الحضارات الغازية التي لا تنسجم مع قيمنا الذاتية الخاصة ، من ثم يصبح البديل أن نعود إلى تراثنا ونوظفه في أدب الطفل ، حتى نتمكن من تقديم نماذج من القدوة الصالحة في مختلف المجالات : العلوم والمعارف والآداب ، حيث يفتقد أطفالنا القدوة . وهم يمثلون ما يقرب من نصف مجتمعاتنا ، وهم بحاجة إلى أن نوظف لهم تراثنا في أدبهم ، فهو التراث الذي يحمل ملامحنا الحضارية ويكشف عن هويتنا ، وإذا كان الغرب قد حاول أن يستفيد منه في أدب الأطفال لديهم ، كما في توظيف ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة التي وظفها لافونتين وجريم(٩) ، فأطفالنا وأدبهم أولى بذلك ، وإذا كان هناك بعض المحاولات مثل محاولات محمد الهراوي وكامل الكيلاني وجبران النحاس ، وأحمد شوقي ، ووصفي آل وصفي في هذا المجال ، لكنها قليلة

، وبحاجة إلى أن تدعمها توظيفات أخرى في أدب الطفل ، لإثرائه فنيا وموضوعيا ، والاعتماد على الأصل العربي ، وليس على محاولات لافونتين فحسب .

* التوازن بين التراث والمعاصرة :

ونحن نطرح تراثنا يجب أن يكون طرحا متوازيا مع المعاصرة ، بحيث ننأى عن التعصب والانغلاق ، فيدرك أطفالنا موضوعية أجدادنا في تعاملهم مع تراث وحضارات الشعوب الأخرى ، إذ لم تمنعهم ثقتهم بأنفسهم من الاستفادة من اليونان والفرس والهنود وكل الحضارات التي احتكوا بها .

وكذلك في الوقت نفسه يجب أن نبرز لهم ما تميزت به الحضارة العربية الإسلامية من العالمية والشمول والاتساع فجمعت بين الجوانب المادية والروحية والأخلاقية والعلمية التكنولوجية ، مما كشف عن تفردها وقوتها ، بينما حضارة الغرب حضارة مادية عرجاء لاعتمادها على العلم والمادة ، وتجردها من القيم الروحية ، التي نحن في أمس الحاجة إليها لمواجهة إمكانات السيطرة والتجاوز التي يوجدها الإنسان لنفسه(١٠) .

- وتستطيع قصة تحتك فيها شخصية عربية مسلمة بأخرى أجنبية في مواجهة أزمة من الأزمات ، أو

حادثة من الحوادث ، فيكشف سلوك كل منهما إزاءها عن طبيعة تكوينه الحضاري ، وذلك بصورة مبسطة يمكن أن يستوعبها الطفل .

- بل قد تكشف مسرحية تعرض لشخصية مسلمة في البلاد الأجنبية عن رقي مسلكه ، وهو يتعامل مع غيره من الفقراء والمحتاجين مثلا .
- وقد يستثمر كاتب ما الاتصال بين الناس في مناسبة عيد الفطر مثلا ، حيث يتواصل الناس ، ويبرز ما يسبق هذه المناسبة من عطاء يتمثل في الزكاة وأثرها في المحتاجين وتوطيد العلاقة بين الفقير والغني .

وكذلك نحن بحاجة إلى قيم جديدة أخرى ، تسهم في تكوين البناء الأخلاقي للأجيال القادمة ، لا تقل أهمية عن الإخلاص والصدق والوفاء ، كالمحافظة على الوقت واستثمارات وقت الفراغ ، ويستطيع أدب الأطفال التنموي أن يغرس في نفوس أطفالنا هذه القيم بواسطة القصة المشوقة والتمثيلية المؤثرة ، والمنظومة الشعرية التي يسهل ترديدها وحفظها . كما يعمل على تنمية هذه القيم في نفوس الأطفال ، كلما تنوعت النماذج الأدبية ، وتعددت وسائلها الفنية .

كما يجب أن تستثير هذه النماذج الأدبية في نفس الطفل الحذر من السلبيات التي أفرزتها الثقافات الفرعية في عهود

الظلم والظلام كالطبقية والمحلية والإقليمية والطائفية والأرستقراطية والبيروقراطية والعنصرية ... وكذلك القيم والعادات الغربية التي غزتنا مع موجات الغزو الثقافي المتعاقبة كالإباحية ... ونظام الاستهلاك الذي يربطنا بعجلة النظام العالمي والاستعمار الثقافي "(١١) .

ويمكن أن نجد في بعض كتب الأطفال التي تصدر شيئا من ذلك ، لكننا بحاجة إلى تطويرها لتحقيق مزيد من أهداف تنمية الأطفال وتهيئتهم لمواجهة حاضرهم ، ومتغيرات مستقبلهم ، من هذه الكتب : قصة " نورة المغرورة " في سلسلة الكتاب الأبيض(١٢) ، وهي تعالج الغرور والطبقية بصورة مبسطة وسهلة ، كذلك " الخروف الحيران " ، في مجلة براعم الإيمان(١٣) ، وهي تعالج الإسراف وتتصل بنظام الاستهلاك بصورة ميسرة أيضا ، لكن هذه الإصدارات والسلاسل بحاجة إلى أن تتطور ، فتحدد المرحلة السنية التي تلائمها هذه الأعمال الأدبية ، وبالتالي أن تلائم بين وسائل العرض في القصص والغايات المنوطة بها ، كما أنها بحاجة إلى أن توسع من نظرتها في نظام المعالجة بصورة أبسط ، وأن تعمل على تجاوز غرس القيم إلى تنميتها في نفوس أطفالنا ، وأن يكون الجانب الفني الأدبي بصورة أكثر جلاء ، معوانا على هذه التنمية .

* ثانيا : العناية بالعلم والتكنولوجيا :

ويعنينا هنا النماذج الأدبية التي توظف العلم وتطبيقاته ، بغية إثراء الجانب الفكري لدى الأطفال ، ووصلهم بالمستحدثات العلمية ، وترقية وعيهم بها ، حتى يكونوا على مستوى عصرهم ، ومهيئين للعصر القادم إن شاء الله ، مع تحقيق عنصر المتعة الوجدانية من خلال التشكيل الفني الأدبي لهذه الجوانب العلمية والتكنولوجية .

وإذا كانت هناك محاولات في هذا المجال ، فهي قليلة جدا ، وبعضها قد تجاوزتها المتغيرات كمنظومات محمد الهراوي الشعرية في وسائل المواصلات الحديثة ، كالطائرة والقطار والترام(١٤) .

ولقد أثبتت الدراسات الببليوجرافية التي أجريت في أكثر من بلد عربي ، أن كتب وقصص الأطفال العلمية لا تشكل إلا نسبة زهيدة بين الكتب والقصص الموجهة للأطفال ، فمن بين قوائم الإنتاج الموجه للأطفال قائمة كتب الأطفال في مصر مثلا من سنة ١٩٢٨م : ١٩٧٨م وقد أعدها لمنظمة اليونيسيف الدكتور محمود الشنيطي وآخرون ، وقد صدرت في القاهرة عام ١٩٧٩م في ثلاثة مجلدات ، ويتضح في المجلد الثاني منها الذي يختص بالقصص وكتب المعلومات أن نسبة القصص العلمية إلى غيرها نسبة غير متوازنة كما يوضحها الجدول التالي(١٥) :

نوع القصص	عددها	النسب المئوية
العلمية	٥٤	%٣,٦
غير العلمية	١٥٠٠	%٩٦,٤

كما أن برامج الأطفال العلمية في التليفزيون محدودة ، وما يوجد منها فهو مترجم ومعقد ومستعار من برامج الكبار ، وما في الإذاعة لا يختلف كثيرا عن ذلك ، من هنا فنحن بحاجة إلى ما يغطي كم المعلومات الهائل المتراكم في الذاكرة الإنسانية ، والذي يتضاعف بسرعة مذهلة ، حتى يستطيع الطفل العربي والمسلم أن يتصل بحركة المعلومات ، ويلم بشئ عن كل هذا .

نحن بحاجة إلى ثقافة علمية تزرع في أطفالنا التفكير العلمي وتنميه ، وهو أبرز سمات إنسان القرن القادم ، إنها ثقافة تحضهم على الإبداع ، وتستثير فيهم الابتكار ، وتدفعهم إلى حل المشكلات ، وتدعم فيهم الملاحظة والتجريب ، كما تغرس فيهم التحليل والتفسير ، بل وتنمي فيهم كل هذه القدرات والاتجاهات والمواهب .

وإذا كانت الترجمة والاستفادة من الكتب الأجنبية من أهم مصادر كتب الأطفال العلمية ؛ الأدبية وغير الأدبية ، فلابد من ترشيد الترجمة والاقتباس والاستفادة ، بحيث ترتبط بواقعنا

وبيئتنا ، فلا نقدم لأطفالنا إلا ما نحن بحاجة إليه ، وما يمكن أن يستوعبوه ، ويسهم في ثرائهم العلمي والمعرفي .

ونظرا لأن معظم كتاب أدب الطفل قد جاءوا من حقول أدبية وإنسانية ويعوزهم العلوم والتخصص فيها ، لذلك لابد من تعاون بينهم وبين العلميين المتخصصين ، حتى يتوفر لديهم الخلفية العلمية التي تعينهم على تمثل العلوم ، والتقديم الملائم لها للطفل ، بحسن توظيفها في الأعمال الأدبية المختلفة من قصة ومسرحية ومنظومة ، ويجد الطفل المادة العلمية المبسطة والدقيقة والشيقة ، في شكل أدبي في الوقت نفسه(١٦) . وبذلك نستثمر أدب الخيال العلمي ، حتى إذا ما توثقت صلة الأطفال بالعلم والتكنولوجيا ، فيمكن أن ننمي فيهم العالم الصغير ، ورائد الفضاء الصغير ، والمخترع الصغير ، دون أن نثقل أذهانهم بالحقائق والقوانين العلمية ، وسوف يتضح ذلك في معالجتنا لقصة من قصص " مغامرات الجيل العلمية " ، التي عنيت بتنمية هذا المنحي المعرفي العلمي لدى الطفل(١٧) .

* ثالثا : الثقافة التنموية والقيم الجديدة :

في أدب الأطفال التنموي يجب أن نركز على ثقافة الطفل التنموية ، ويقصد بها " مجموعة الأفكار والاتجاهات والسلوكيات التي يجب أن ينشأ عليها ، حتى يصبح أكثر وعيا وإدراكا

لمشاكل مجتمعه ، وأقدر فعلا وإبداعا على تجاوز هذه المشاكل ، وإيجاد الحلول الإبداعية لمواجهتها ، واستثمار الظروف المتاحة لبناء مستقبل حضاري أفضل يسمح لنا بالندية الحضارية الكاملة مع الأمم الأخرى "(١٨) وسوف نجد أن كثيرا من هذه القيم قد دعا إليها ديننا الحنيف .

وما أكثر القضايا والموضوعات التي يمكن أن يستثمرها ويوظفها أدب الأطفال التنموي لمواجهة المتغيرات لتحقيق الثقافة التنموية ، وتهيئة الطفل للاستعداد لاستقبال القرن الحادي والعشرين ، منها ، مشكلة الغذاء وسوء مواجهتها ، ومن البدائل في التصدي لها ، الاهتمام بالزراعة والقيم الزراعية والفلاح ، ولذلك يجب أن تتغير صورة هذا الفلاح في أدب الطفل بحيث يصبح مناط التقدير والاحترام ، فهو عضو عامل في مجتمع يحتاج إلى جهده ، كما يجب أن نرفع من مستوى وعيه ، لنزيد من فاعليته ، وما يقدمه لنا من محاصيل ونتاج زراعي يجب أن نحيطه بالاهتمام والمحافظة وعدم الهدر أو التبذير ، ومن ثم نقدم للطفل من القصص والتمثيليات ما يغرس في نفسه هذه القيم ، وينميها لديه .

ويتصل بما سبق استثمار الصحراء ، ومقاومة التصحر الذي أصبح يهددنا في المستقبل ، من هنا يجب أن تختفي شخصية الحطاب في أدب الطفل التنموي ويصبح البديل هو حارس الغابة

الأمين الذي يحافظ على شجرها ، لأن فكرة الاحتطاب قد تترك في نفس الطفل الاستهانة بالشجرة ، وعدم الاهتمام بها ، وكذلك لا نريد لصورة المواقد القديمة التي تعتمد على الحطب أن تعود لتلتهم أشجارنا في كتب الأطفال ، دون داع .

وفي الوقت نفسه يجب أن نعلي من الصناعة القائمة على استخدام الخشب في كثير من نواحي حياتنا ، فبرغم انتشار المعادن ، لكن ما يزال للأخشاب دور مهم في هذا المجال ، فصوان ملابس الطفل ، ومكتبه ومكتبته وكرسيه وسريره ، وباب غرفته ومنزله ... ، كل ذلك يمكن أن نحصل عليه من الصناعات القائمة على الخشب ، لذلك يصبح البديل أن نرفع من وعي الطفل بحيث يدرك أهمية الشجرة ، سواء كانت للحفاظ على البيئة من التلوث ، وكونها مصدر جمال وثمر وغذاء ، أو لاستخدامها في الصناعات الخشبية ، وبذلك ننمي في نفسه الجمع بين الجانبين الجمالي والنفعي بالنسبة للشجرة ، ويدرك الطفل وجوب المحافظة عليها ، وأهمية استخدامها في الصناعة ، ولكل جانب مجاله وأهميته ، وهنا يجب دعوة الأطفال إلى التشجير ، وإبراز ذلك كمظهر من مظاهر سلوك الطفل السوي النافع ، وأتصور أن الجمع بين هذين الجانبين لإدراك مزاياهما ومعرفة ما بينهما من تعارض ، وتوجيه الطفل وجهة سوية حيالهما ، لا يمكن له إدراكه إلا في نهاية مرحلة الطفولة المتوسطة ، ومرحلة

الطفولة المتأخرة حيث يكون مهيئا نفسيا وعقليا لإدراك العلاقات ، خاصة المتخالفة منها ، لذلك حبذا لو ظهر هذا الاتجاه في الأدب الموجه للأطفال في هذا السن .

وإذا كان الوجه الآخر في مشكلة نقص الغذاء الذي يتهدد مستقبلنا هو نقص المياه ، فإن الاقتصاد في استخدامها ، والمحافظة عليها يجب أن يكون من بين القيم التي نهتم بغرسها في نفوس أطفالنا ، وتنمية هذا الإحساس لديهم بها فيما يوجه إليهم من أدب .

كما يجب أن يعمق أدب الطفل التنموي الحس الصحي والنظافة لدى أطفالنا ، فننفرهم من العادات السيئة ، ونحثهم على مكافحة الأمراض والحشرات حتى يعو أهمية مقوماتها بالوسائل المشروعة ، ونغرس في نفوسهم التنفير منها ، كما ننمي هذا الإحساس فيهم .

وإذا كانت الكلاب والقطط والفئران عماد بعض قصص الأطفال ، فإن ما عرف عنها حديثا من نقلها لكثير من الأمراض ، بالإضافة إلى موقف الشرع من نجاستها ، يدعونا إلى إعادة النظر في دور هذه الحيوانات – خاصة الأليفة منها – في أدب الطفل حتى نرشد تعاطفه معها ، ويدرك وجوب الحرص والحذر في الاختلاط بها ، والتعامل معها ، وفي الوقت نفسه لا نلغي أو نخفي أثر الكلب مثلا بالنسبة لراعي الغنم ، أو حراسة ما يحرسه

، أو وفاءه لصاحبه ، وهذا ما نعنيه بترشيد تعاطف الطفل مع بعض هذه الحيوانات ، فيدرك خطرها ، ويعي فائدتها ، ويوجه للموقف الملائم منها حسب ما تؤديه لنا من نفع أو ضرر .

والبيئة مهددة بالتلوث بمختلف أنواعه سواء كان إشعاعيا نتيجة دخول المفاعلات النووية إلى عالمنا العربي والإسلامي ، أو من الدول المجاورة ، وسواء أكان في الهواء نتيجة عادم السيارات وأدخنة المصانع ، وسواء كان في الماء نتيجة إلقاء نفايات السفن ومخلفاتها ، وسواء كان في التربة نتيجة دفع المخلفات الإشعاعية ، أو استخدام المبيدات الكيميائية بطريقة غير سوية ..

كل هذا يجب توعية أطفالنا تجاهه ، وننمي فيهم كيفية مقاومته والحذر منه . ولا شك أن اقتران هذا التحذير ، مع تنمية الإحساس فيهم ضد أنواع التلوث السابقة من خلال أدب الطفل ووسائله الفنية يمكن أن يحقق كثيرا من الغايات والأهداف التي ننيطها " بأدب الطفل التنموي " .

* أفلام الكرتون والصور المتحركة :

ويقتضينا ما سبق أن نعيد النظر فيما نقدمه لأطفالنا من أفلام الكرتون والصور المتحركة ، فهي وسيلة من وسائل تقديم أدب الطفل ، لكن للأسف معظمها أفلام أمريكية أو غربية الصنع ، قد

صممت لأطفال غير أطفالنا ، ولبيئة غير بيئتنا ، لها من العادات والتقاليد والأخلاق ما لا ينسجم مع ديننا وعاداتنا وتقاليدنا وأخلاقنا ، فيكفي أن نقدر مدى الخسارة ، والضياع الذي يمكن أن يصيب أطفالنا ويغرس الانحراف والفساد في نفوسهم بمتابعة مسلسل كمسلسل " (باباي) البحار القائم على الصراع بين (باباي) و (بلوتو) الذي يسعى دائما إلى اختطاف وامتلاك الحسناء الجميلة (أوليف أوبل) ، زوجة (باباي) ، ويلاحقها ويشاكسها .. " وكذلك كثير من البرامج التي تصدرها مؤسسة والت ديزني .

بل إن مسلسل " توم وجري " ليستثير في نفوس أطفالنا نوازع الشر والتآمر والمكر والحيلة أكثر مما يثير نوازع الخير والفضيلة .

وبرغم أن لدينا بعض الشركات المتخصصة في هذا المجال مثل شركة التسويق والإنتاج الإعلامي بعمان بالأردن ، وشركة الشرق الأوسط للإنتاج الإعلامي والتوزيع ، لكنهما تعتمدان على المترجمات أكثر من اعتمادهما على ما يصور بيئتنا وعاداتنا وتقاليدنا لذلك فنحن بحاجة إلى أكثر من شركة عربية إسلامية متخصصة في أفلام الكرتون والصور المتحركة ، لا تقدم لأطفالنا إلا ما يتلاءم مع بيئتنا العربية الإسلامية ، كما نوظف كثيرا من جوانب تراثنا وتاريخنا المشرقة ، الحافلة بكثير من

نماذج البطولة والنبل ، والشخصيات الفذة إنسانيا وأخلاقيا وعلميا وحضاريا ، بحيث نقدم لهؤلاء الأطفال القدوة الصالحة ، وجوانب تراثنا التي تستثير فيهم حب دينهم وأوطانهم ولغتهم ، كما تبعث الثقة في نفوسهم إزاء هذا التراث ، بحيث يجعلون حاضرهم امتدادا لماضيهم ، كما ننمي فيهم قيمة الوفاء والإخلاص وما نرجو أن نغرسه في نفوسهم من قيم جديدة أخرى(١٩) .

* الهوامش :

(١) انظر د.محمد عماد زكي تحضير الطفل العربي لعام ٢٠٠٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠م (ومنتدى الفكر العربي عمان) ص١٥٧ .

(٢) د.سعد أبو الرضا ، النص الأدبي للأطفال ، إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية مكتب البلاد العربية ط١ دار البشير عمان : الأردن ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص١٨ وكذلك انظر : هادي نعمان الهيتي ، ثقافة الأطفال ، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٢٣ ، رجب ١٤٠٨هـ / مارس ١٩٨٩٨م ص١٣٣ .

(٣) انظر النص الأدبي للأطفال ، الفصل الأول .

(٤) انظر تحضير الطفل العربي لعام ٢٠٠٠ ، ص١٤٢ .

(٥) انظر محمد إقبال عروي ، جمالية الأدب الإسلامي ، المكتبة السلفية ، الدار البيضاء ١٩٨٦م ، ص٩ .

(٦) انظر د. محمد عبد القادر حاتم ، الدعوة الإسلامية وأجهزة الإعلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م ، ص٦ .

(٧) انظر ص١٧ وما بعدها من هذا البحث .

(٨) انظر ص٢٩ وما بعدها من هذا البحث .

(٩) انظر النص الأدبي للأطفال ص٦٠، ٦٢، وكذلك انظر تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠ ص١٤٣ .

(١٠) انظر تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠ ص١٤٥ .

(١١) السابق نفسه ص١٤٧ .

(١٢) انظر عفاف عبد الباري ، نوره المغرورة ، سلسلة الكتاب الأبيض ، إصدار الشركة الشرقية للمطبوعات ش.م.م ، بيروت ، لبنان .

(١٣) انظر العربي بنجلون ، مجلة براعم الإيمان السنة التاسعة العدد ٢١٤ ربيع الأول ١٤١٥هـ أغسطس – سبتمبر ١٩٩٤م إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، هدية العدد ٣٤٣ من مجلة الوعي الإسلامي .

(١٤) انظر ديوان محمد الهراوي للأطفال جمع ودراسة عبد التواب يوسف ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م .

(١٥) حامد الشافعي دياب . قصص الأطفال العلمية في نصف قرن ، دراسة ببليوفترية ، الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٤م ، الثقافة العلمية في كتب الأطفال ، القاهرة من ١١/٢٩ : ١٩٨٤/١٢/٢م مركز تنمية الكتاب العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م ص١٥٥ .

(١٦) انظر تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠ ص١٤٩ : ص١٥ .

(١٧) انظر عفاف عبد الباري – العقل المفقود – مغامرات الجيل العلمية ، العدد ٢٠ ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، وانظر ص٣٤ من هذه الدراسة .

(١٨) انظر تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠ ، ص١٥٥ .

(١٩) انظر السابق نفسه ص١٥٩ .

(٢٠) انظر د. عماد زكي ، الطفل العربي والمستقبل ، كتاب العربي (٢٣) سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي – الكويت ١٩٨٩/٤/١٥م ص١٥٤، ١٥٥ .

القسم الثاني

تحليل لنماذج من أدب الأطفال التنموي

القسم الثاني
تحليل لنماذج من أدب الأطفال التنموي

ملامح قصة الأطفال الموجهة في مجموعة " قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال " لأبي الحسن الندوي

* مدخل :

القصة جنس أدبي يحقق إثراء الفكر وإمتاع الوجدان ، وهي من أجل ذلك وسيلة لتحقيق كثير من الغايات التي اختلفت باختلاف المذاهب الأدبية ، وتعد الواقعية بتوجهاتها الاجتماعية ، أكثر المذاهب توظيفا لها في التعبير عن قضايا الفرد والمجتمع ، والتبشير بالتغيير نحو الأفضل والأصلح ، من هنا فقد اصطبغت القصة الواقعية بكثير من ملامح الحياة ، واعتمدت على البيئة[١] في تشكيل بنيتها ، ودقة رسم الشخصيات فيها ، والكشف عن السلبيات ، والإرهاص بتغييرها ، وتوظيف لغة الحياة ، وربما كان التزام الحياد الدرامي في الراوي المتكلم ، من أهم السمات في القصة ، لدرجة جعلت بعض النقاد يصفون هذا الموقف بالجمود المطلق وخلوه من المشاعر[٢] .

وبرغم أن هذا المبدأ يكاد أن يكون ملمحا مميزا للقصة اليوم ، لكن المعالجة الفنية للتاريخ في القصص يمكن أن

تتجاوز هذا الحياد الدرامي ، خاصة في قصص الأطفال الموجهة ، دون أن تستغرق المباشرة القصة .

حقا إن التجرد والحيدة يدعمان البناء الفني ، ومن هنا كانت صعوبة قصة الأطفال الموجهة ، في وقوفها على الخط الفاصل بين الحيدة والمباشرة ، وعند هذا الخط تتعدد وسائل التوجيه ، كما سوف يتضح في مجموعة " قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال " لشيخنا أبي الحسن الندوي .

وأعني بالتوجيه هنا توظيف الكاتب للوسائل التعبيرية في الشرح والتفسير مع المحافظة على الشكل القصصي ، وتحقيق غاياته الفنية والفكرية الإسلامية ، وذلك يتصل بالرؤية والأداة الكاشفة عنها ، وما بينهما من ارتباط عضوي[٣] ، وسوف أشير إن شاء الله خلال معالجتي لهذه المجموعة القصصية ، إلى بعض هذه الوسائل التعبيرية ، التي تشكل خاصية التوجيه – ذات الصلة الوثيقة بأدب الطفل التنموي – ، وإسهامها في بناء هذه القصص ، وتجليها كملمح مميز لها في طريقة الكاتب في التأليف والإبداع .

*** العوامل المؤثرة :**

ولقد كتب الشيخ أبو الحسن الندوي للكبار ، وللناشئة ، كما كتب للأطفال ، ومن أهم ما كتبه في هذا المجال مجموعة

" قصص النبيين للأطفال " ، ثم " قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال " معتمدا على كثير من المصادر التراثية في التاريخ الإسلامي وغيره منها : سيرة ابن هشام ، وزاد المعاد ، لابن القيم ، وصحيح البخاري ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وغيرها ، كما استفاد من بعض المصادر الأجنبية مثل كتاب " جنكيز خان " لهيرلد ليمب ، وكتاب " الدعوة إلى الإسلام " لتوماس آرنولد .

وإذا كان الشيخ قد ظهرت لديه موهبة الخطابة ، فقد نمت وتجلت بفضل اتصاله بشيخه محمود إلياس ، الذي التقى به في دلهى ، وقد أعجب الشيخ أبو الحسن به ، خاصة في توجهه للجماهير ، وارتحاله إليهم ، وحسن استقبالهم لخطبه ، وتأثيره العظيم فيهم[٤] ، بفضل طريقته في الدعوة إلى الله ، وعرضه للأدلة و وبسطها وسلامة ترتيبها ، وتقديمه لما به تصلح أحوال المسلمين وتتطور ، من هنا فقد أصبح شيخنا أبو الحسن خطيبا داعية ، أو داعية خطيبا ، ولقد شكل هذا التوجه معالجته لقصص التاريخ الإسلامي ، إذ يغلب على هذه القصص أسلوب الخطيب الداعية ، وهو مما يجلي فكرة القصة الموجهة لديه ، كما سوف يتضح .

ملامح التوجيه: الضمائر والعلاقات

ففي قصته:" رسالة إلى رسول الله ﷺ [٥] يستثمر الشيخ ما روي من أن رجلا جاء "يوم اليرموك إلى أبي عبيدة ﷺ – قائد المسلمين – فقال : إني قد تهيأت لأمري "أي الشهادة" ، فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ . قال أبو عبيدة: نعم تقرئه عني السلام ، وتقول: يا رسول الله ﷺ عليك وعلى آلك والسلام ؛ إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا " [٦] .

من ثم يتشكل الحدث في هذه القصة معتمدا على هذا الخبر ، لتجسيد عنصر الحكاية بمعنييه اللغوي والفني ،اللغوي على معنى النقل ، أي النقل من التاريخ الإسلامي ، وحكاية الكلام ، والفني[٧] بمعنى توظيف هذا الحدث في بنية القصة لتحقيق الغايات الفنية ، والإسلامية المنوطة بها ، ومنها أن تُثَبِّت في ذهن الأطفال ما نعتقده نحن المسلمين من "وصول الميت إلى عالم الآخرة ، واجتماع الشهيد برسول الله ﷺ "[٨] ، وبرغم أنها فكرة مجردة لكن الشيخ يحاول بحسه الخطابي أن يقدم لها ما يسوغها فنيا بدليل بسيط يناسب مرحلة الطفولة المتأخرة (من ٩ : ١٢ سنة) ، منتقلا عن طريق التماثل من علاقة مألوفة بسيطة يدركها الأطفال ، هي علاقة الأب بالابن ،

وما بينهما من حب وحدب ورعاية ، إلى علاقة أخرى تماثلها في كونها بين طرفين لكنها تحتاج إلى مستوى أرقى في الإدراك ، وهي علاقة الأمة بالرسول ﷺ ، وما أثر عنه من رعاية شديدة لها ، ليقيس الطفل الثانية على الأولى ، فتستقر الفكرة العقدية المبتغاة في ذهنه ، ويستطيع استيعابها ، فالطفل في هذه المرحلة السنية المشار إليها يكون قادرا على القياس ، وإدراك بعض العلاقات[٨] .

وهو يقدم هذا الدليل مقترنا بعدة وسائل تعبيرية أخرى أسهمت في تشكيل القصة و إعطائها هذا الطابع الموجه الذي يعد من أهم سمات قصص الأطفال في هذه المجموعة عند الشيخ أبى الحسن ، وهو في الوقت نفسه نتيجة لحسه الخطابي في الاتصال بالجماهير ، وهو ما خصصنا له هذا القسم ، من هذه الوسائل التعبيرية هيمنة ضمير الخطاب (ك) على الفقرة الأولى من القصة هيمنة ، تجسد قوة الاتصال بين المرسل و المستقبل ، فيتأكد التواصل المرجو بينهما ، و التعاطف و حسن التلقي بين الطفل و العمل الأدبي ، يتضح ذلك في (جاءك-أباك-لك-منك ، بابيك-أبوك-عنك-صحتك)

التصوير:

فإذا ما تحقق هذا المستوى من التواصل والإدراك والاستيعاب بالنسبة للطفل ، لا يلبث الشيخ أن يدعمه بوسيلة

تعبيرية أخرى في الفقرة الثانية هي التصوير البياني المتمثل في "التشبيه" ، الذي برغم فنيته يمكن أن يناسب هذه المرحلة من مراحل الطفولة ، فهو قياس على شكل صورة بيانية ، تكشف عن علاقة الدنيا بالآخرة ، وتوضح اعتقاد المسلمين أن الموت هو الجسر الذي يربط بينهما ، يقول الكاتب "كل من عبر هذا الجسر من المسلمين وصل إلي الآخرة ، واجتمع هنالك برسول الله ﷺ ، وتشرف بزيارته ، ولابد أن رسول الله ﷺ سائل عن أمته " (١٠)

وإذا كان ضمير الخطاب هو المهيمن في الفقرة الأولى ، فإن ضمير الغياب هو المسيطر في الفقرة الثانية ، وذلك انتقال من المخاطب : الطفل الموجهة إليه القصة ، إلي الغائب المسلمين ، الذين تتحدث القصة عن معتقدهم في الصلة بين الدنيا والآخرة وعلاقة المصطفي ﷺ بأمته ، ومكانة الشهيد ، وصلته بذلك المعتقد ، عندما ينتقل من الدنيا إلي الآخرة ، وينال الحظوة بلقاء المصطفي صلى الله عليه وسلم ، من ثم كان الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمائر الغياب ، وسيلة تعبيرية أخرى لتثبيت الفكرة ودعمها في ذهن الطفل ، عن طريق "الالتفات" بواسطة هذه المغايرة بين الضمائر ، وأثر هذه المغايرة في تهيئة الطفل للتلقي والاستيعاب للفكرة .

وتأتي علاقة "التخالف" في الفقرة الثالثة ليستكمل بها شيخنا تقرير وتثبيت هذا المعتقد في نفس الطفل ، فإذا كانت علاقة التماثل في الفقرة الأولى قد كشفت عن اهتمام الابن بالاتصال بأبيه ، لإبلاغ سلامه إليه عن طريق القريب أو الصديق المسافر ، كما يحرص الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الموت على الالتقاء بالشهيد ، وسؤاله عن أخبار أمته اهتماما بهم ، فإن الفقرة الثالثة تبين أن القريب أو الصديق المسافر قد لا يلتقي بالأب ، ومن ثم لاتصل أخبار الابن وسلامه إلي أبيه ولا يتم الاتصال بينهما ، وهنا تتحقق المخالفة في أننا نحن المسلمين لا نشك في وصول الميت إلي عالم الآخرة واجتماع الشهيد لمكانته برسول الله صلى الله عليه وسلم واتصاله به ، وسؤال المصطفي له عن أحوال أمته ، وذلك معتقد للمسلمين لا يتبدل أو ينتقص ، وعلى أساس هذه المخالفة يمكن أن تتهيأ نفس الطفل لاستقبال ذلك المعتقد ، ومن ثم يستقر في وجدانه .

التناص (الاقتراض) وحكاية الحدث :

ويشكل الاقتراض من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لبنة مهمة أخرى في بنية هذه القصة ، خاصة وهى تتحدث عن انتصار المسلمين ، ووعد الله لهم بذلك ، كما في قوله تعالى : {إنهم لهم المنصورون ، وإن لهم الغالبون } [١١]

وكذلك حديث المصطفي صلى الله عليه وآله وسلم عندما بشر بذلك " لتفتحن كنوز كسرى وقيصر " ، والنصان معا في صلب القصة بشرى لكل مؤمن بالنصر ، مما يجلى الرغبة في الشهادة في ميدان الحرب غاية سامية إيجابية ، يتطلع إليها المؤمنون ، لأنها شهادة قرينة بالنصر ، من ثم فقد جاء ذلك الرجل إلي أبى عبيدة وهو موقن بالأمرين معا الشهادة و النصر ، متطلع إليهما معا ، حريص على لقاء المصطفي ﷺ ، وبذلك يسهم الاقتراض في تشكيل الحدث مجسدا عنصر الحكاية ، كما أشرت في بداية هذه الدراسة ، والحكاية هنا هي ما يُحكى ويُقص ، من مرسل إلي مستقبل مباشرة أو استحضارا ، فيتأكد التواصل وحسن التلقي ، والاستيعاب و التوجيه في القصة وهكذا تتآزر هذه الوسائل التي تكشف عن محاولة الشيخ أبى الحسن تشكيل قصة للأطفال ، تعتمد على الخبر التراثي ، وتتوسل بوسائل الحس الخطابي لتثبت في نفس الطفل ذلك المعتقد الإسلامي ، وهو الاتصال بين الدنيا والآخرة ، والتقاء الشهيد هناك بالمصطفي صلى الله عليه وسلم .

والتركيز على الحدث على هذا النحو ، قد لا يتيح للعناصر القصصية الأخرى ، من عناية الكاتب ما يبرزها ، وذلك لصغر حجم القصة ، برغم فاعلية هذه العناصر الأخرى في هذه المساحة الضيقة ، وهى فاعليه جلية في تحديد المكان

والزمان و الشخوص ، إذ يتجلى ذلك في كون هذه المعركة معركة اليرموك التاريخية في الشام بقيادة أبى عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه .

ويمكن أن تمثل هذه القصة بهذا التوجيه وذلك التشكيل مجموعة من قصص هذا الكتاب منها " رحلة سيدنا عمر ابن الخطاب ﷺ إلي بيت القدس " [١٢] ، مع فارق جلي بينهما أن قصة " رسالة إلي رسول الله ﷺ " تعتمد في تشكيلها على الحدث بالدرجة الأولى ، بينما حكاية " رحلة سيدنا عمر ابن الخطاب ﷺ إلي بيت القدس " ، تعتمد الشخصية في بنائها وتطويرها ، كما تعنى بالحدث وتجليه .

التوجيه والحس الخطابي :

ومما يكشف عن التوجيه أيضا كملمح في القصة نتيجة للحس الخطابي في هذه المجموعة القصصية ؛ أن الكاتب قد يتجه مباشرة إلي متحدث أمامه ، وكأنه يخاطبه ، وذلك امتداد لتوظيف ضمائر الخطاب التي سبقت الإشارة إليها كوسيلة تعبيرية ، يتضح ذلك في قصته "قدَرّ الشيء حق قدره والجزاءُ الأوفى عليه " [١٣] ، التي تتناول موقفا للحسن بن على ﷺ ، عندما رأى عبدا يأكل رغيفا ، فيضع اللقمة في فمه ، ويقدم الأخرى للكلب دون مغابنة حتى انتهى الرغيف ، فما كان من

الحسن ﷺ ، وإعجابه بموقف العبد إلا أنه اشتراه وأعتقه ، كما اشترى له البستان الذي وجده يؤاكل الكلب بجواره ، يقول الكاتب في هذه القصة :

"كلكم تعرفون الحسن بن على ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... ... وإليكم حكاية تدل على علو همته ، وقدر الفعل الحسن حق قدره والجزاء الأوفى عليه....." (١٤)

وكذلك في قصة "جواب كان السبب في إسلام مئات ألوف من الناس " (١٥) التي يكشف فيها الكاتب عن إسلام التتار ، بفضل حكمة ولباقة داعية إسلامي هو الشيخ جمال الدين من بخارى ، عندما رد بحكمة على تغلق بن تيمور خان ملك كاشغر ، الذي أسلم ودعا غيره من مواطنيه إلي الإسلام ، وبذلك تغير مستقبل الأسرة الحاكمة في تركستان من الكفر إلي الإسلام .

يقول الكاتب في هذه القصة :

" لعلكم سمعتم أو ستقرءون في كتب التاريخ قريبا - خبر غارة التتار على العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري .....

" إليكم حكاية من حكايات هؤلاء الربانيين الكثيرة الذين يرجع إليهم الفضل في إقبال هؤلاء التتار على الإسلام ..."

ويلاحظ في كلتا القصتين أثر " ضمير الخطاب الجمع " في استحضار الكاتب للمتلقين من الأطفال كلون من ألوان الاتصال والتجاوب من النص و التوجيه المباشر لهؤلاء المتلقين ، وذلك ملمح يتضح في كثير من حكايات هذه المجموعة ، وهو في الوقت نفسه نتيجة من نتائج الحس الخطابي لدى الشيخ الندوي وهو يتوجه إلي الأطفال بحكاياته المستمدة من التاريخ .

المقدمة التفسيرية السردية :

وفي قصته " الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين " (١٦) نلاحظ أولا الاقتراض في العنوان من سورة يوسف عليه السلام ، بتوظيف مادة (حفظ) ، ونسبة الحفظ لله ﷻ في كلا الموقفين ; في الآية الكريمة عندما جاء إخوة يوسف عليه السلام يستأذنون أباهم في اصطحاب أخيهم الصغير إلي مصر ، حيث يوسف عليه السلام أمين على خزائنها ، دون أن يعلمون حقيقته ، وكذلك في القصة الأولى من المجموعة التي نعرض لها ، حيث يشير الكاتب إلي حفظ الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ ورعايته له ، ومن ثم يتشكل الحدث بأجزائه وقد هيمنت عليه فكرة حفظ الله ﷻ للرسل (١٧) .

ومن مقومات الحس الخطابي هنا أيضا محاولات الكاتب التفسير و الشرح والبسط ليصل إلي عقل المتلقي ووجدانه ،

سواء كان هذا الشرح لبعض مفردات اللغة الموظفة ، أو للمواقف و الأحداث ، من ثم تتعدد وسائل ذلك الشرح ، ليتحقق التواصل بين المرسل و المستقبل ويتحقق التأثير و الإمتاع ، وهما عماد الخطاب في الخطبة ، ولقد تجلى ذلك في هذه القصة كأدوات للكشف عن رؤية الكاتب التي يبغى تقديمها للأطفال ، لتشكيل وجداناتهم بها ، وتثبيت العقائد الصحيحة ، والأخلاق القويمة ، في عقولهم وقلوبهم ، وهى هنا يمكن أن تتمثل في الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته ، ورعاية الله ﷻ وحفظه له ، والحث على الجهاد في سبيل الله .

ويتصل بهذا الموقف الفني الموجه للقصة ، المتمثل في الشرح و التفسير ، الذي هو صدى للحس الخطابي لدى شيخنا ، المقدمة السردية التمهيدية للقصة ، التي يحاول الكاتب فيها الإضاءة للمواقف المشكلة للقصة عندما يحين حديثه عنها والتحامها بجسم الحدث مشكلة له ، ولذلك تبدو هذه المقدمة كتمهيد ، برغم اتصالها بما يليها من أحدث جزئية ، وهى في الوقت نفسه ذات طابع تفسيري سردي ، وذلك ملمح يتجلى في كل قصص هذه المجموعة تقريبا [١٨] .

أثر الاستفهام في تشكيل الحدث :

ويتضح الأسلوب الإنشائي المتمثل في الاستفهام ، والإجابة عنه وسيلة تعبيرية أخرى تكشف عن الحس الخطابي الموجه عندما يوظفها الكاتب للشرح و التفسير في القصة مستحضرا جمهور الأطفال الذين "يوجه" إليهم هذه القصة ، وفي الوقت نفسه ; يبنى به حدثه خلال تشكيلها ، وقد يكون هذا السؤال نصا تراثيا لكن الكاتب يجعله وإجابته يلتحمان ببنيته القصصية ، ويسهمان في نموها ، من هذه المواضع ، قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى بكى رضي الله عنه ، عندما كان يتعجب من عدم اكتشاف الكفار لهما برغم يسر ذلك وهما مختفيان بغار ثور ، : "ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟"[١٩] .

ثم يقرن الكاتب بذلك السؤال النص القرآني تأكيدا لحفظ الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ﷺ ، وكأنه إجابة عن السؤال : {ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا } [٢٠] ، مما ينمي الحدث ، ويكشف عن الغاية الفكرية التي يجسدها العنوان ، و المتمثلة في { الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين }فيستقر في ذهن الأطفال الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وحفظه له ،

وهناك أسئلة تسهم في تشكيل حدث القصة أيضا ، لكن الكاتب لا يقدم إجابة عنها ، ومع ذلك تحقق جانب الشرح و التفسير ، لأن السياق القصصي يوحى بهذه الإجابة ، كما أنها ترتد شاهدة على عنوان القصة ،مجسدة لتحققه ، وذلك كقول الكاتب تعليقا على عدم اكتشاف المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابه ، برغم وصولهم إلي مدخل الغاز ولكن إرادة الله وحفظه جعلت العنكبوت تنسج نسجا على باب الغار .. يقول : " وكيف يدخل أحد الغار ، ولا يُقطعُ نسج العنكبوت ، ويبقى على حاله؟"[٢١] .

من ثم يتآزر هذان السؤالان بإجابتيهما في تشكيل هذا الموقف الكاشف عن حفظ الله لرسوله ﷺ، وتدعم طريقة الكاتب هذه في الحكاية (بمعنى ما يُحكى ويُقص) غايته في تثبيت ما ينيطه بالقصة من معتقدات إسلامية .

وبرغم أن الاختفاء في الغار حدث مستقل ، لكن الكاتب يربطه بغيره من المواقف التي يلتقطها من التراث ، للكشف عن حفظ الله للرسول ﷺ كما سوف يتضح ، وليس هذا الربط ربطا تاريخيا ، وإنما هو ربط قصصي منطقي ، وبذلك يستثمر الكاتب السيرة النبوية الكريمة وأحداث التاريخ في بناء حكاياته للأطفال .

ويشير الكاتب في حديثه إلي بعض التفاصيل المتعلقة ببعثة المصطفي ﷺ وجهاده ضد الشرك والمشركين ، وهجرته إلي المدينة ، مبرزا لبعض مظاهر رعاية وحفظ الله لرسوله ﷺ في هذه الأحداث ، حتى تهيأ الرسول للغزو دفاعا عن الحق ، وردا لكيد المشركين ، وفي إحدى هذه الغزوات ، نام الرسول أثناء العودة منها ، تحت شجرة ، وترك سيفه معلقا بها ، وانتهز أحد المشركين هذه الفرصة ، والتقط السيف ووقف به على رأس الرسول ﷺ مهددا إياه ، سابرا شجاعته وثباته ، قائلا له من يحميك مني الآن ؟ فيجيبه رسول الله ﷺ في ثقة وتلقائية : الله ، مما أذهل المشرك فسقط السيف من يده ، وبذلك ينقلب الموقف ، إذ يلتقط الرسول ﷺ السيف ، ويسأل خصمه عما يمنعه هو منه الآن ، وبينما يستجدي المشرك عفو الرسول ، يطلب منه صلى الله عليه وسلم الشهادة ، لكن الرجل يرفض ، ويعاهد الرسول ﷺ على ألا يقاتله ، ولا يكون مع قوم يقاتلونه ، مما جعل الرسول ﷺ يعفو عنه ، ويذهب الرجل إلي أصحابه ، مقررا لهم أنه التقى بخير البشر .

وإذا كانت معظم الأحداث السابقة في هذه القصة مقررة ومسجلة في مصادر التراث الإسلامية ، فإن أول مسوغات التقاط الكاتب لها ومحاولة الربط القصصي بينها وتوظيفها فنيا ،

أنها جميعا تكشف عن مظاهر حفظ الله للرسول صلى الله عليه وسلم ورعايته له .

وكما يتضح السؤال والإجابة عنه كوسيلة تعبيرية توجيهية في هذه القصة أيضا ،عندما يتناول الكاتب فيها موقفا آخر من المواقف المشكلة لحدثها ، وهو تلك الغزوة التي نام الرسول ﷺ تحت شجرة ليستريح أثناء العودة منها ، يقول الكاتب في هذا الموقف من القصة ، شارحا معنى "الغزوة" "وخرج رسول الله ﷺ وآله في غزوة ، هل تعرفون ما هي الغزوة؟" وتصبح الإجابة عن هذا السؤال شرحا للمفردة ، ومدخلا لبناء الحدث في هذا الموقف ليتكامل مع غيره من العناصر الفنية في تشكيل القصة ثم يقول :

" لعلكم تعلمون أن المسلمين كانوا يخرجون للجهاد في سبيل الله ، وكانوا يقاتلون المشركين والكفار لوجه الله ﷻ ، ولعلكم تعلمون فضيلة الجهاد في سبيل الله ؟ وكان النبي ﷺ يخرج أحيانا مع المسلمين وأحيانا يمكث في المدينة لشغل أو مصلحة ، ويبعث جندا من المسلمين .

فالغزوة ما خرج فيها الرسول ﷺ في جند من المسلمين للجهاد في سبيل الله .

نعم ، فخرج رسول الله ﷺ في غزوة ورجع عنها في الظهيرة ، وكانت أيام الصيف ، فأراد رسول الله ﷺ أن يستريح....." (٢٢) .

وتأمل فيما سبق تكرير "لعلكم" بما تتضمنه من خطاب يهيمن على هذه الفقرة وسياقها ، ليستحضر المخاطبين ، ويتحقق التواصل و التوجيه .

محورية الفعل الماضي "كان":

ومن الطبيعي في مثل هذا السياق القصصي الحكائي أن يسود الفعل الماضي ، كملمح لغوي أخر ، خاصة الفعل "كان" مع تغير ما يسند إليه ، كما تتخذ الأفعال المضارعة الدلالة الزمنية نفسها في هذا السياق مسهمة في تشكيل عنصر الحكى القصصي الذي يجسد التوجيه ، وهو في الوقت نفسه يجتذب الأطفال في جميع مراحل عمرهم ، لكون هذا الزمن يدل على أحداث قد تمت وتحققت ، خاصة عندما تتضمن ما يثير دهشتهم ، بكشفها عما لا يتوقع كإخفاء الرسول ﷺ وصاحبه رضي الله عنه بالغار ، ووصول المشركين إليه دون اكتشافهم لمن فيه ، وعدم خوف الرسول من تهديد المشرك والسيف في يده .

وقد يكون مصدر الدهشة "التحولات غير المتوقعة" خاصة عندما ترتبط ببعض مظاهر البطولة ،كسقوط السيف من

يد المشرك ، والتقاط الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا السيف ، وتحوله من مُهدّد إلي مُهدِّد ، ولا تفسير لغير المتوقع فيما سبق إلا إرادة الله ﷻ - الحافظة لرسوله صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه ، وهو ما يجسد عنوان هذه الحكاية أو القصة ، كما إن مظاهر البطولة والشجاعة هنا مما يناسب نمو الطفل في هذه المرحلة السنية التي تلاؤمها هذه القصة ، وهي مرحلة الطفولة المتأخرة [٢٣] ، التي يميل الطفل فيها إلى المغامرة والبطولة والمنافسة والشجاعة ، وهذه الحكاية من الحكايات التي يمكن أن تشبع هذه الميول . وتأمل استخدام الشيخ للفظة "حكاية" بدلا من قصة ، لأنها أبسط في شكلها ، وأقرب إلي المتلقين من الأطفال ، لوضوح الحدث فيها ، وبساطة التعقيد ، وقلة الشخصيات ، واستخدام لفظة "كان..." بصورة لافتة للنظر ، مؤكدة اتصال المرسل بالمستقبل وتواصلهما ، وتجلي الدرس التعليمي المتمثل في لباقة الداعية إلي الله ، وملاءمة الإسلام بمبادئه وتعاليمه لكل البشر .

بالإضافة إلي أن هذه الحكايات يمكن أن تكون امتدادا للرصيد الموروث على المستويين المحلى والعالمي لحكايات الأطفال ، خاصة و الفعل الماضي "كان" مع تغير ما يسند إليه كملمح لغوى مهيمن على كثير من قصص هذه المجموعة ، وارتباط هذا الفعل بمعنى الحكاية اللغوي الذي أشرت إليه سابقا

، بالإضافة إلي ما أثر من حكايات "كان يا ما كان" للأطفال التي تعتمد على الراوي ، وحشد الوسائل اللغوية التي أشرت إلي بعضها ، من أجل تقريب المتلقي الطفل من المبدع الذي يحكي ويفسر ويسرد أحيانا ، وتجلى ملمح التوجيه مشكلا لبنية هذه القصص ،

كل ذلك من الأسباب التي تجعلني أقترح عنوانا آخر لهذه المجموعة ، هو : "حكايات للأطفال من التاريخ الإسلامي" بدلا من قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال " ، خاصة و المؤلف نفسه استخدم لفظة حكايات[٢٤] في معالجاته للقصص الأخيرة من هذه المجموعة .

بعد جديد لمفهوم التاريخ الإسلامي:

و القصتان الأخيرتان في هذه المجموعة وهما "فمن عفا وأصلح فأجره على الله "، و"رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه " يتضح فيهما كثير من خصائص " التوجيه " التي أشرت إليها سابقا ، لكنهما تضيفان بعدا جديدا لمفهوم التاريخ الإسلامي في ذهن الأطفال ، بكشفهما عن جانب من صراع المسلمين في الهند ، ونضالهم من أجل عقيدتهم والدعوة إليها ، وهو جانب مجهول به تكتمل حلقات هذا التاريخ وتتصل ، ويتمثل ذلك في نضال الإمام السيد احمد بن عرفان الشهيد (١٢٠١-١٢٤٦ هـ) الذي بويع بالإمارة سنه ١٢٤١ هـ منشئا دولة إسلامية على الحدود

الشمالية للهند ، قاومت المستعمر وروعته ، بفضل أولئك الرجال الذين رباهم علي الإسلام وتعاليمه .

كما تكشف هاتان القصتان عن "الاقتراض من القرآن الكريم" في العنوان ، وأن ذلك وسيلة تعبيريه يعتمد عليها الكاتب للتأثير بها في المتلقين وتوجيههم خاصة عندما يسهم هذا العنوان في تشكيل الحدث في الحكاية ، في بعض قصص هذه المجموعة والتي منها أيضا "الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين" التي سبقت الإشارة إليها كنموذج لهذه الوسيلة التعبيرية .

ولعل ما أشرت إليه من وسائل تعبيرية في تشكيل مجموعة " قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال " للشيخ أبي الحسن الندوي ، قد كشفت عن أثر الحس الخطابي لديه في إبراز ملامح التوجيه في هذه المجموعة القصصية ، مجلية نموذجا من نماذج قصص الأطفال وحكاياتهم ، التي تنتمي إلي أدب الأطفال التنموي وهى قصة الأطفال الموجهة ، وذلك ملمح من ملامح التغيير في بناء القصة اليوم ، لتساير ما نبتغيه من تمكين أطفالنا من الاتصال بحشد المعارف والمعلومات النظرية والعملية والإنسانية والتكنولوجية التي يحملها العصر لنا ولهم ، وهنا قد وضحت الجوانب الإنسانية في توظيف السيرة النبوية الشريفة

والتاريخ الإسلامي ، وأثر الحس الخطابي في تشكيل بنية قصص الأطفال في هذه المجموعة القصصية .

أثر رقى الحياة وتقدمها الفكري و التكنولوجي في بعض قصص الأطفال :

شهدت قصص الأطفال في بداية اهتمامنا بأدب الطفل في العصر الحديث عناية بالكشف عن جوانب حياة الشخصية ، لإبراز العبرة والعظة والدرس الأخلاقي بصورة مباشرة ، يقترن فيها السلوك بالفكرة وذلك خلال مجموعات قصصية ذات عناوين عامة تتضمن أكثر من غاية أخلاقية ، أو تحث على مسالك سوية ، وتتضمن هذه المجموعات قصصا تكشف عن هذه الغايات و المبادئ الأخلاقية المتعددة ، أو ترشد إلي أنواع السلوك السوية المختلفة وقد تتضح في هذه المجموعات العناية بالعناصر القصصية المختلفة كالبيئة ، والشخصيات والحدث وغيرها كما قد تعتمد هذه القصص على القصص القرآني ، أو أحداث السيرة النبوية الكريمة ، أو بعض كتب التراث ، أو بعض جوانب الحياة العامة التي قد يتصل بها الأطفال ، مثل قصص الأنبياء لعبد اللطيف عاشور ، ومجموعة "قصص الأنبياء" لمحمد أحمد برانق ، "وقصص القرآن" لمحمد على قطب ، ومجموعة "القصص الدينية" لمحمد أحمد برانق أيضا ، ومجموعة "أمهات المؤمنين" التي أصدرتها دار المعارف ،

و"قصص الأنبياء" لعبد الحميد جودة السحار ، وقد صدرت في أجزاء لكنها لا تخرج أيضا عن هذه الغايات العامة المتعددة ، والكشف عن أنواع السلوك السوية المتباينة ، وكذلك مثل "نحن نحب هؤلاء" لكمال رشيد ، التي أصدرتها إدارة الثقافة والنشر بجامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ، وهي تتحدث عن بعض فئات المجتمع كالعامل والفلاح والجندي وغيره .

وربما اتخذت المجموعة القصصية شخصية فكهة من التراث لعرض بعض نوادره ، أو إسقاط جوانب من الواقع المعيش على سلوك الشخصية ، كجحا مثلا في "نوادر جحا البخيل" لعبد العزيز بيومي.

ونظرا لمتغيرات اليوم التي تجلت في التقدم الفكري والعلمي وتعدد مناهج البحث ، واتساع الحياة العقلية مع ميلها إلي التخصص الدقيق ، فقد اتجهت كثير من المجموعات القصصية للأطفال إلي التحديد الدقيق للغاية والهدف منها ، سواء من خلال اختيار المواقف التاريخية وإعادة صياغتها فنيا للأطفال، أو التشكيل المباشر لقضايا واقعهم المعيش، أو ما يتصوره المؤلف من خيال يعتمد على العلم ونظرياته ، وذلك برغم ما في هذه الغايات من تجريد ، من هنا وجدنا بعض المجموعات القصصية للأطفال تتخذ من القيمة الأخلاقية أو السلوكية عنوانا

واضحا محددا لها ، بحيث تهدف المجموعة القصصية كلها إلي هذا العنوان من خلال تشكيل المواقف الإسلامية المختلفة التي تتضمنها هذه المجموعة القصصية ، موظفة لبعض عناصر القصة الفنية ، في كل قصة من القصص التي تشتمل عليها ، كما في مشروع الإنتاج الإعلامي "أطفالنا" الذي تصدره في جدة والقاهرة هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية ، وقد صدر منه عدد من السلاسل منها : سلسلة قصص "الأخلاق" التي شملت حتى الآن إحدى وعشرين مجموعة "قصصية" تعرّف كل مجموعة منها بخلق من الأخلاق تتخذه عنوانا واضحا محددا لها ، وتقدم حوالي خمس عشرة قصة تبرز هذا الخلق وتحببه إلي الأطفال ، وتكرير المواقف وتباينها من أهم عوامل تنمية الإحساس بهذه القيمة الأخلاقية في نفس الطفل ، وهذه من مزايا القصص اليوم، وهى في الوقت نفسه تشكل ملمحا من ملامح "أدب الطفل التنموي" ، مثل مجموعة : "قصص في الشجاعة" و"قصص في الإخلاص" ، و"قصص في الأمانة" وهكذا . وقد يكون هناك مجموعات قصصيه قليلة للأطفال ، تنتهج هذا النظام في ما سبق .

لكن الجديد حقا ويتضح فيه أثر المتغيرات ، والعمق الفكري ، هو أن تتعدد هذه المجموعات القصصية محاولة استقصاء نوعيات الأشخاص الذين تتحقق فيهم هذه القيمة

الأخلاقية أو السلوكية ، مشكلة سلسلة قصصية ، تتألف كل مجموعة منها من مواقف لأشخاص ، يجمع بينهم "الذكاء" مثلا بالإضافة إلي كونهم إنسانيا ومعرفيا قد يكونون في مجال إنساني واحد مع اختلاف المواقف/"كسلسلة الأذكياء التي تصدر ضمن مشروع الإنتاج الإعلامي "أطفالنا" نفسه المشار إليه سابقا،وهو لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، وتكشف هذه السلسلة عن حسن التصرف/وما يتضمنه من بعد نظر متمثلا في تجلى الذكاء كقيمة وسلوك يحققان الخير والسبق للفرد أو الجماعة ، تلك السلسلة التي بلغ عدد مجموعاتها القصصية ست مجموعات وهى : أذكياء الشعراء ، أذكياء الفقهاء ، أذكياء القضاه ، أذكياء القمة ، وذكاء الأنبياء ، وذكاء الصحابة . بالإضافة إلي أن كل مجموعة من هذه المجموعات القصصية في السلسلة الواحدة تتألف من خمس عشرة قصة ، مما يوسع من مجال الظاهرة إنسانيا ، كما تتعدد وتتنوع المواقف الكاشفة عن الذكاء ، مما يقدم للطفل مجالا رحبا للاستفادة إنسانيا ومعرفيا ، كما يقدم له القدوة الصالحة المتعددة الجوانب بالإضافة إلي المتعة الوجدانية التي تؤكد من فرص استفادة الطفل وتطور تجاربه وخبراته كما تنمى في نفسه هذه القيمة .

عرض وتحليل للمجموعة القصصية : ذكاء الصحابة

تنوع الوسائل التعبيرية:

برغم أن هذه المجموعة إحدى مجموعات سلسلة "الأذكياء" ، وتتألف من خمس عشرة قصة ، وتتكون من مواقف يتضح فيها حسن التصرف ، وبعد النظر كما أشرت سابقا وهى ذات عنوان عام واحد وهدف مشترك ، لكن وسائلها التعبيرية متعددة مما يساعد على غرس القيمة الأخلاقية والسلوكية وتثبيتها في ذهن الأطفال ، بالإضافة إلي تنمية الإحساس بها في نفسه .

فنجد مثلا "**التورية**" في القصتين الأوليين : قصة "هادى الطريق " عندما يجيب أبو بكر ﷺ وقد سئل عن رفيقه الذي يسير معه ، وهو رسول الله ﷺ: (هاد يهديني) وهو بذلك يلمح إلي هداية الرسول " صلى الله عليه وسلم " له إلي الدين الإسلامي ، وهو المعنى البعيد المراد ، بينما المعنى القريب الذي صار إليه فهم المستمع ، أنه يهديه إلي الطريق الذي يسلكه وخاصة قد كان ذلك أثناء هجرتهما من مكة إلي المدينة ، وأبو بكر رضي الله عنه يبغى من وراء ذلك إخفاء شخصية المصطفي عليه الصلاة والسلام والاعتراف بفضله ومكانته في الوقت نفسه .

وكذلك في القصة الثانية "أدب العباس " رضي الله عنه عم الرسول ﷺ عندما سئل أيكما أكبر فيجيب "إنه أكبر منى وأنا ولدت قبله" ، فالتناقض الزمني في العبارة كاشف عن أن المراد بأكبر هنا المكانة والقدر وليس العمر الزمني الذي تجليه الجملة الثانية .

وكلتا التوزيتين تكشفان عن مكانة الرسول ﷺ ، وذكاء أبي بكر و العباس عم الرسول ﷺ ، وحركة ذهن المتلقي في مجال الدلالة بين المعنيين القريب والبعيد للعبارتين المشار إليهما إثراء للجانب الجمالي الوجداني التعبيري ، وقد يعترض على ذلك التفسير ، وأنه فوق مستوى الأطفال ، لكن العبارتين وهما تستخدمان في هاتين القصتين تقترنان بالمقصود منهما ، بالتدخل المباشر من كاتب القصة ، مما يجعل تمثلهما الدلالي ممكنا للطفل في هذه المرحلة المتوسطة من حياته .

وإذا كان التراث في مثل هذه القصص يقدم للكاتب كل تفصيلات الحدث تقريبا ، **فإن دقة الاختيار لهذه التفصيلات ، وتحديدها،والصياغة الفنية البسيطة الملائمة** للطفل ترقى بهذا الجهد المبذول إلي مستوى التشكيل القصصي للتراث ، لتحقيق الغايات المنوطة بالنسبة للطفل ، معرفيا ووجدانيا .

وفي ضوء ذلك يتضح أن استخدام هاتين العبارتين قد شكل نهاية الحدث في كلتا القصتين ، وكشف عن **بساطة " عقدتيهما " و " حليهما "** في الوقت نفسه ، كما يأتي التفسير المباشر من قبل المؤلف للعبارة الأولى في قصة " هادي الطريق " مشبعا لدى الطفل الرغبة في المعرفة ، وإضاءة الحدث وعقدته ، بل وإراحته نفسيا وهو يستقبل الدلالة الصحيحة للعبارة ، خاصة وهي تكشف عن أثر الرسول ﷺ في صاحبه كنموذج للرفقة السوية ، وأثر الدين الإسلامي في الفرد ، وليس الفرد هنا هو أبو بكر فقط رضي الله عنه ، ولكنه المسلم بصفة عامة .

بالإضافة إلي أن هذا التفسير قد يكشف في هذه القصة عن شيء من "**التوجيه**" الذى اعتبرناه ملمحا مميزا لمجموعة قصص من التاريخ الإسلامي للشيخ أبي الحسن الندوي التي قد سبقت الإشارة إليها ، وهو في الوقت نفسه من الملامح الفنية ، لأدب الأطفال التنموي .

كما تأتي عبارة (هو أكبر مني ، وأنا ولدت قبله) في قصة أدب العباس رضي الله عنه ، كاشفة عن دلالتها الصحيحة ، والغاية منها بواسطة هذا التناقض بيّن دلالتي جملتيها ، كما أشرت ، إذ بين مكانة الرسول ﷺ ، و هدايته للناس ، وهكذا إذا كانت القصتان الأوليان في هذه المجموعة تتحدان في الغاية و

الهدف كشفا عن مكانة الرسول ﷺ ، وذكاء صحابته فهما أيضا تشيران إلي أثر الإسلام في الفرد و المجتمع .

ومن الوسائل التعبيرية هنا أيضا **بساطة العلاقة التي ينبني عليها كلا الحدثين** في هاتين القصتين ، فهي علاقة بين شخصين اثنين ، في الأولى الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ﷺ ، وفي الثانية الرسول ﷺ و العباس ﷺ ، وقلة الشخوص على هذا النحو ووحدانية العلاقة التي تتبني عليها القصة ، تجعل تمثلها الدلالي ميسرا أيضا بالنسبة للطفل في مرحلة الطفولة المتوسطة .

وإذا كان " **الزمان** " يدرك بسهولة في هاتين القصتين ، فهو صدر الإسلام ، وعصر الرسول ﷺ ، فإن **المكان أيضا** قد تحدد في ضوء ذلك وهو الجزيرة العربية خاصة مكة والمدينة ، بل إن كلمة " مهاجر " في السطر الأول من القصة الأولى إشارة واضحة إلي الطريق بين مكة و المدينة ، وتحدد الزمان و المكان ووضوحهما من أهم العوامل المهيئة للطفل المتلقي كي يتراسل وجدانيا مع القصة ، ويتمثلها دلاليا و معرفيا ، كما تستقر غاياتها و أهدافها الإسلامية في نفسه ، فإذا ما تكررت وتنوعت المواقف القصصية في كشفها عن القيمة الأخلاقية ، وذلك بتعدد القصص التي توضح هذه القيمة ، أدى ذلك أيضا

إلي تنمية إحساس الطفل بهذه القيمة ، و"التكرير" للمواقف على هذا النحو يمكن أن نعده من الملامح الفنية للقصة في أدب الأطفال التنموي .

واللغة في هذه المجموعة القصصية (ذكاء الصحابة) ، بسيطة سهلة ، فلا تباعد بين أطراف الجمل ، ولا اعتراض ولا تقديم يعوق استمرار الفهم وتمثل الدلالة ، ويمكن الاستشهاد بأي فقرة بطريقه عشوائية ليتضح هذا النحو في الصياغة ، ففي قصة " أدهى العرب " ، وهى القصة الرابعة عشرة وقبل الأخيرة في هذه المجموعة نجد هذه الأسطر الأولى فيها . " في معركة أجنادين ، احتاج عمرو بن العاص – ﷺ – ، إلي معرفة شيء عن جيش الروم ، فقرر الذهاب إلي قائد الروم على أنه رسول من قائد المسلمين إليه ، ولما انتهى عمرو من مهمته ، وقام ليخرج ، أرسل القائد إلي حراسه أن يقتلون عمرا عند خروجه".

لكن الملاحظ على لغة هذه المجموعة إيثارها للبساطة و اليسر في التعبير ، دون تطعيمها بملامح جمالية ، تثري الجانب الجمالي الوجداني لدى الطفل ، اللهم إلا بعض العبارات المأخوذة مباشرة من التراث ، مع أن الهدف الجمالي من أهم غايات أدب الأطفال التنموي ، وذلك لتربية ذوقه ، وصقل الحاسة الجمالية

الفنية لديه ، وتنميتها ، و التأثير بالقيمة الفكرية و الموضوعية المتضمنة .

وربما يتصور بعض الكتاب أن هذا الجانب يتعارض مع مستوى الطفل ، وهو تصور يحتاج إلي إعادة نظر في أدب الطفل و غاياته و أهدافه ، إذ لا تعارض بين البساطة في التعبير وجماليته ، ولعل لنا في العبارتين التراثيتين اللتين استخدمتها في القصتين الأوليين في هذه المجموعة ، ما يؤكد ما ذهبنا إليه من كون الغاية الجمالية هدفا رئيس من أهداف أدب الأطفال ، وهي غاية تتجاوز جمال العبارات إلي جمال البناء الفني نفسه للقصة كلها ، وذلك مما يجعل كتابة أدب الطفل عملا فنيا شاقا ، إلا للمتمرسين من أدباء هذا اللون ، المؤهلين فنيا ونفسيا وتربويا ومعرفيا للتصدي له .

وتقترن كل قصة بصورة في الصفحة المقابلة لها ، وهي صورة توضيحية ملونة ، تعين الأطفال على تمثل فكرة القصة وفهمها ، وبذلك تتآزر الصورة و الفكرة في تحقيق الاستجابة المطلوبة من الطفل ، بناء على توظيف أكثر من حاسة كوسيلة لاتصال الطفل بهذه القصة .

بالإضافة إلي **الورق المصقول المستخدم** في طباعة هذه المجموعات القصصية ، لتتحمل عبث الأطفال ، و الألوان

المبهرة الجذابة المتعددة للغلاف و الصور الداخلية ، و الخط الكبير الواضح الذي تسهل على الأطفال قراءته ، كما تتميز هذه القصص بقصرها حجما وكما ، فهي لا تتجاوز الصفحة الواحدة إن لم تكن أقل من ذلك ، حتى يستطيع الطفل استيعابها في جلسة واحدة ، مما يساعد على سرعة استجابته لها ، وسهولة تأثيرها فيه بالقيمة الأخلاقية المنوطة بها ، والعلاقات في هذه القصص تتلاءم مع التطور الذهني للطفل غالبا[٢٥] ، فهي تناسب مرحلة الطفولة المتوسطة من (٩:٦ سنوات) ، وهي المرحلة التي يتوافق معها الحدث البسيط ، و البعد عن تعقد العلاقات الفنية ، لكن الأطفال في هذه المرحلة يدركون المواقف المتناقضة و المتباينة ، مما يساعدهم على تمثل هذه القصص وحسن استيعابها.

ما عدا قصة " مر الحق " وهي القصة السابعة فإنها لا تتناسب إلا مع أطفال مرحلة الطفولة المتأخرة ، لما فيها من تعقيد فني ، مرده إلى أنها تتكون من ثلاثة أشخاص ، بالإضافة إلى أن العلاقة بينهم تتبني على مجموعة من الأسس الرياضية الحسابية ، التي قد تكون فوق مستوى مرحلة الطفولة المتوسطة ، لأنها تتعلق بجدول الضرب في الحساب و توظيفه في عمليات حسابية معقدة بالنسبة لهذه المرحلة من الطفولة .

وبرغم أن الصفحة الأخيرة قبل صفحة الغلاف جاءت بصورة تقريرية ، لكنها ختام مناسب يلخص غاية المواقف القصصية ، الخمسة عشر ، ويؤكد سلامة العنوان وملاءمته بصفة عامة ، كما يعد هذا التلخيص الذي لا يتجاوز صفحة واحدة ، وسيلة لتثبيت القيمة الأخلاقية و السلوكية في ذهن الطفل ، وهي الغاية المنوطة بهذه المجموعة .

ونظرا لاعتماد هذه السلسلة على التراث ، فهي **تقدم أحيانا تفسيرا لبعض الكلمات** ، التي قد لا يسهل فهمها على الأطفال ، كما أنها قد تضبط بعض الكلمات بالشكل ، مما يعين الأطفال على سلامة القراءة ، وصحة الفهم لأفكار القصة .

بعض السلبيات :

لكن هذه القصص يعوزها أن تشير على غلافها إلى مرحلة الطفولة التي تتناسب معها ، حتى يسهل على الأطفال وأهليهم اختيارها لهم ، وهذه الإشارة يجب ألا يخلو منها أي عمل أدبي يقدم للأطفال ، لان متغيرات الحياة اليوم تستلزم تحديد مستوى المادة القرائية التي تقدم للأطفال ، و الحرص على التلاؤم بين هذه المادة و المرحلة السنية التي تقدم لها .

كما أن الصلة قد تكون منفكة بين القصة و الصورة المقابلة لها أحيانا ، ومن ثم فهي لا تسهم في توضيحها ، ولا

تحقق الغاية منها كوسيلة للتفسير والشرح والإيضاح ؛ مثل الصورة المقابلة لقصة "أدب العباس"[٢٧] ، وقصة "سيف الله"[٢٨] ، ففي القصة الأولى كان يمكن توظيف أي ملمح آخر من ملامح البيئة الإسلامية كوسيلة إيضاح ، كصورة المسجد مثلا ، فهو أكثر دلالة على الإسلام والهداية من مجرد وضع صورة بعض المنازل ذات الطابع القديم ، وعدة نخلات متفرقة .

وفى الصورة الثانية كان يمكن الإكثار من صور الجنود وتعدد وسائلهم الحربية التي كانت تستخدم قديما للدلالة على كثرتها ، وهو ما يكشف عن ذكاء خالد بن الوليد ﷺ .

كما أن هذه القصص قد خلت من أرقام الصفحات ، ووضع فهرس لها يتضمن هذه الأرقام وعناوين قصصها الخمس عشرة ، حتى يسهل رجوع الأطفال إلى كل قصة على حدة ، وربما استغنى المؤلفان عن الفهرس ، بما ذكراه من عناوين للقصص في الصفحة الأولي التي تلي الغلاف ، لكنها خلت من أرقام الصفحات بما يخرجها عن كونها فهرسا لهذه المجموعة .

تحليل لنموذج قصصي للأطفال يوظف العلم والتكنولوجيا :

من السلاسل التي يتضح فيها أثر **توظيف الخيال العلمي** ، بناء على مستجدات العلم والتكنولوجيا ، سلسلة " مغامرات الجيل العلمية " التي تصدر في بيروت عن دار الجيل ، وقد صدر عنها حوالي عشرون قصة في هذا المجال ، وهى تعتمد نظريات العلم و منجزات التكنولوجيا ، بغية وصل الأطفال بعصرهم ، بل وتهيئتهم للقرن الحادي والعشرين الميلادي ، وذلك عندما توظف القصة المخترعات الحديثة كالكومبيوتر ، والأقمار الصناعية ، و الصواريخ المتطورة ، و الطائرات التي لا تُرى و نظريات الاتصال الحديثة ، والفيروسات ، و الريموت كنترول وغير ذلك ، عندما يصبح ما سبق مشكلا لجوانب القصة وعناصرها الفنية ، كما سوف يتضح ، مما يساهم في متعة الأطفال ، وزيادة معارفهم العلمية ، وتنمية قدراتهم وذكائهم ، وربطهم بأحدث المتغيرات ، فينشأون قادرين على التعامل مع عصرهم ومتغيراته ، و النهوض بمجتمعاتهم ، وذلك بإثراء خيالهم ، وتهيئتهم ، للإسهام في تقدم حياة أممهم وتطورها وازدهارها ، بتنمية هذه الاتجاهات العلمية لديهم ، وهذا ما يجعلنا ننسب هذه القصة لأدب الأطفال التنموي .

واللغة في هذه القصص بسيطة خالية من التعقيد والتقعر ، كما أن الجوانب التصويرية الجمالية محدودة جدا ، لكن هذه اللغة في الوقت نفسه تكشف عن الجوانب العلمية في يسر وسهولة ، و البناء القصصي متماسك ، وكل ذلك **لأنها توظف المنجز العلمي بلفظه وصورته بإيجاز** ، مما يغنى عن كثرة التفاصيل الفنية و العلمية الدقيقة التي هي فوق مستوى الأطفال وخاصة بالمتخصصين علميا في الوقت نفسه ، من ثم فاللغة هنا قرينة الرسوم الملونة والصور الكثيرة المتعددة ، وكل هذا يعين الأطفال على حسن الاستقبال ، ويسر التمثل ، وسعة الاستيعاب ، والاستفادة ، والمتعة أيضا .

وهذه القصص غالبا ما تناسب مرحلة الطفولة المتأخرة ، لأن العلاقات فيها محدودة وواضحة ، برغم ما تتضمنه من جوانب علميه وتكنولوجية متعددة .

ويمكن خلال تحليل نموذج من هذه القصص ذات الخيال العلمي هو : "**العقل المفقود**"[٢٩] أن نكشف كيفيه توظيف الجوانب العلمية والتكنولوجية في هذه القصة لتحقيق بعض غايات أدب الطفل التنموي .

يتألف " الحدث " في هذه القصة من جانبين متميزين يمثلان ثنائية ضدية ، هما جانب الخير ، وجانب الشر، ويتمثل

أولهما في مجموعة من المواقف التي تضمها المدرسة النموذجية للأطفال الموهوبين ، تكشف عن تميزهم واهتمام المدرسة و الدولة بهم ، ومن القيم الأخلاقية فيها : موقف القدوة الذي يتضح في قول أحد الآباء لابنه : ستكون مثل رائد الفضاء هذا يا بني ، وذلك أثناء مشاهدة ابنه – وهوا أحد طلاب هذه المدرسة – لبرنامج في التلفزيون ، يدور حول رواد الفضاء ، وموقف ثاني لطالب آخر وقد اخترع برنامجا جديدا للكمبيوتر ، وموقف ثالث لتحسن صحة حصان بفضل الغذاء الذي اخترعه له طالب غير السابقين ، وموقف رابع لطالبة تنهى الفصل الأخير في قصة تكتبها ، وموقف خامس لأحد هؤلاء الطلبة الموهوبين ، وقد تغلب على والده في لعبة الشطرنج ، لشدة ذكائه ، ومحصلة هذه المواقف كلها تكشف عما يتمتع به هؤلاء الطلاب من تميز وموهبة و ذكاء ، وتجسيدهم لمستقبل زاهر لوطنهم ، على أساس مقدرتهم ومواهبهم في ضوء هذه المستجدات العلمية و التكنولوجية ، ورعاية الدولة لهذه النماذج المتميزة ، مما يجلي أثرها في تحقيق التقدم ، وحفاظها على ثروتها البشرية واستثمارها الأمثل المستقبلي لها ، ولذلك فيمكن أن نسميها **الدولة الخيرة ، أو كوكب الخير** لأنها لا تبغي شرا لأحد .

بينما الجانب الآخر هو جانب الشر ، فتمثله **دولة الأشرار أو كوكب الشر** ، وهم سبب التغير الذي سوف يصيب

هؤلاء الموهوبين ، فيفقدون نشاطهم العقلي وتميزهم ، نتيجة حرب مدمرة بين هذه الدولة الخيرة ، وكوكب الأشرار ، وتلك "**عقدة**" بسيطة ، يشكلها الصراع بين الخير و الشر .

من هنا يتمثل " **الحل** " في اكتشاف علماء هذا البلد الخير ، أن صاروخا غير مرئي لأنه مطلي بمادة تخفيه – فلا يرى – قد أطلقه سكان كوكب الشر ، يحمل فيروسا يسبب عدم التركيز للأطفال أقل من أربعة عشر عاما ، كما يصيبهم بالضعف الذهني و البدني وفقدان الشهية ، وبذلك تنتهي العقول المفكرة ، وهذا الصاروخ يوجه بالريموت كنترول الذي يتحكم فيه عن بعد بحيث يلقى الفيروس ويعود من حيث أتى .

وقد فعل ذلك سكان كوكب الشر ، حتى لا يغزو كوكبهم أحد اليوم أو في المستقبل ، و أصابوا أطفال مدرسة الموهوبين النموذجية من ثم يكون رد الفعل في بحث علماء كوكب الخير أو المدينة الخيرة عن أسباب ذلك ، وكيفية مواجهته ، و التصدي لهذا الشر و القضاء عليه ، باكتشاف حقيقة هذا الفيروس المدمر و أنه مُخلّق من مخدر خطير و قوي ، بنسبة تركيز عالية جدا ، ولكنهم اكتشفوا فيروسا مضادا له ، كما خططوا لهجوم مضاد كبير ، وفي الوقت الذي كان سكان كوكب الشر يستعدون لمهاجمة دولة الخير ، قامت هذه الأخيرة في الوقت المناسب

بالقضاء على كوكب الأشرار ، و الاستعداد للتصدي لأي هجوم مضاد ، وتمت حماية الأطفال ، وانتصر الخير و الخيرون على الشر و الأشرار .

وهذه النتيجة التي انتهت إليها القصة **تريح الطفل نفسيا** ، خاصة وقد عوقب الشر وتم القضاء عليه ، وهذا جزاء منطقي مقنع و مريح للطفل ، حيث يشبع لديه الميل إلى مكافأة الخير ، ومعاقبة المسيء .

وبرغم اعتماد القصة على العلم و التكنولوجيا ، لكنها مناسبة لأطفال مرحلة الطفولة المتأخرة من [١٢:٩] ، حيث **يمكنهم فهم حدث متعدد العلاقات** ، وهي التقابل بين الخير و الشر أولا ، ثم التماثل بين أفراد كل فريق من هذين الجانبين .

كما تتضح **بساطة هذا الحدث** ، وهو فعل له بداية ووسط ونهاية ، برغم توظيف القصة لكثير من المخترعات و النظريات العلمية ، مثل الكمبيوتر ، وأثر الغذاء في النمو ، والذكاء ، والريموت كنترول ، وحرب الجراثيم ، و الصواريخ التي لا ترى ، وأهمية التخطيط في التصدي للأعداء و القضاء عليهم ، وكلها ملامح ووسائل علمية حديثة ، يمكن لطفل هذه المرحلة المتأخرة من الطفولة أن يتصل بها و يتمثلها ، على هذا النحو الذي أوردته هذه القصة .

بالإضافة إلى أن **الترابط بين أجزاء الحدث منطقي وفني:** منطقي لأن مرض الطلاب الموهوبين يستدعي اللجوء إلى الأطباء ، وبحث العلماء عن سبب مرض وسوء حالة هؤلاء التلاميذ ، لعلاجهم والمحافظة عليهم ، ومقاومة الخيرين للأشرار للرد على اعتداءاتهم ، والتحصن ضدهم ، والقضاء عليهم . أما فنية الترابط فتتمثل في نمو الحدث نفسه ، والانتقال من المرحلة المعلومة إلى المرحلة المجهولة التي تليها منه ، مما يحقق التشويق الذي يجتذب الطفل ويرضى لديه الرغبة في المعرفة .

وبرغم تعدد الأماكن إلا أن **كل مكان مناسب كبيئة للموقف** والفعل الذي يتم فيه ، مما يجعل الطفل يتقبله ، ولا يجد صعوبة في تمثله ، خاصة وهي بيئات قريبة منه فكريا أو ماديا : كالمدرسة و المعمل و المنزل و الكوكب .

واللغة المستخدمة مناسبة ، تساعد على التمثل و الاستيعاب ، فهي تتميز بقصر جملها ، وعدم الاستطراد ، أو التقديم المخل ، أو الاعتراض الذي يعوق المتابعة أو يعطلها ، وتوظيف علامات الترقيم بطريقة سليمة كما في ص ٦ ، ٧ مثلا ، والجمل بصفة عامة برغم قصرها فهي غالبا ما تمثل موقفا ، وتُقدِّمُها القصة متتابعة في لقطات ، وترتبط كل لقطة بصورة

معها توضحها ، وبذلك تحقق الجملة غايتها من التوصيل بأسرع ما يمكن ، نتيجة **الجمع بين هذا النص و الصورة معا** ، بل قد يزداد عدد الصور على عدد الجمل مما يوسع من مجال الاستفادة و التوصيل و سهولتهما .

كما أن هذه **الصور ملونة غالبا** ، مما يضاعف من قدرتها على جذب انتباه الأطفال و التأثير فيهم بالفكرة .

بالإضافة لما سبق تتميز هذه القصة **بدقة رسم شخصياتها** ، سواء عن طريق الرسم فى الصور ، أو الملاءمة بين الشخصية وما تقوله ، فوزير الجيش هو الذي يأمر بالهجوم ، ومدير المدرسة هو الذي يتحدث عن حالة التلاميذ ومستوياتهم ، وذلك مما يقنع الطفل بالشخصية ، ويساعد على تمثله لها و الاتصال بها .

كما أن هناك بعض **العناوين المعينة على الفهم و المتابعة** مثل ص٢ ، ص١٤ ، ص١٦ ، ص١٨ ، ص٣٠ وهي عناوين غالبا ما تشير إلى مكان الحدث و الحديث ، وقد توحي بجوانب التضاد الفنية فى القصة .

مسرحية "النهر" لسليمان العيسى [٣٠]

ووسائل تحقيقها لبعض قيم أدب الطفل التنموي

مدخل :

إن اللغة المستخدمة في أدب الأطفال بصفة عامة لابد أن تكون لغة بسيطة سهلة ، وهي مما يستخدمه الطفل أو يسمعه في بيئته ، أو على الأقل هذا هو الغالب عليها ، لأنها في الوقت نفسه لابد أن تزوده بمفردات جديدة ، لتنمية محصلته اللغوية ، وإثرائها .

ومعنى بساطه اللغة خلوها من المفردات الصعبة المعنى ، أو الثـــقيلة في النطق ، أو على السمع ، ولا تكون بعيدة عن مداركه . وجملها قصيرة ، أطرافها متقاربة ، خالية من الاعتراضات المخلة ، أو التقديم و التأخير الذي يصعب إدراكه ، ويلبس المعنى ، وهي لغة تستخدم علامات الترقيم بصورة مفيدة صحيحة .

كما أنها لغة جميلة ، لتصقل حسه الجمالي ، وتنمي ذوقه الفني ، إذ تتضمن الصورة التعبيرية ، التي تستمد مكوناتها من واقع الطفل ، وما يتصل به ، و العلاقات بين أطراف هذه الصورة بسيطة واضحة ، قريبة من مستواه المعرفي ، وإدراكه الجمالي حتى يتفاعل معها ، وبرغم أن "التكرير" وسيلة بلاغية

لتأكيد الفكرة ، وسلامة عرضها ، وهو ينتمي إلى أحد علوم البلاغة الثلاثة هو علم المعاني ، وإلى أحد فنون هذا الأخير وهو الإطناب ، لكن "التكرير" بمستوياته المختلفة ، يمكن أن نعده في الوقت نفسه ، من أهم الوسائل الفنية التي يعتمد عليها "أدب الطفل التنموي" – فيما يعتمد – وذلك لتنمية التوجهات السوية عند الأطفال كحب الوطن و الإخلاص له ، وغرس كثير من القيم الجديدة التي أصبحت تتطلبها الحياة بصورة ملحة : كالمحافظة على الوقت ، و التعاون الجماعي ، وغيرها ، بالإضافة إلى أثر هذه القيم في تشكيل مستقبل الأطفال تشكيلا سويا نافعا .

ويضاف إلى ما سبق ما للمسرح من الوسائل الفنية التي يتميز بها عن غيره من فنون الأدب ، فإلى جانب ما يتضمنه من عرض للأحداث ، يجعلها تتجسد خلال تقديم الشخصيات لها على المسرح ، متحركة ، باثة في كلماتها الحيوية و النشاط و الفاعلية ، فإن الحوار وهو عصب المسرحية يضاعف من إحساس الطفل بهذه الحيوية و النشاط و الفاعلية ، عندما تصل الكلمات إلى سمع الطفل حاملة شحنات من الفكر ، لتستثير لدى هذا المتلقي الصغير كثيرا من التجاوب و الانفعال ، و الاتصال بالقضايا المطروحة للمعالجة ، و التي تجسدها حركة الممثلين المرئية على خشبه المسرح ، وهكذا يوظف المسرح أكثر من

مساحة ليتحقق التماثل الدلالي لدى الطفل لكثير من جوانب النص المسرحي المعروض .

بل إن طريقة عرض الشخصيات ، ودقة تمثيلها للفكرة ، دقه تمثلها لها أيضا ، و التلاؤم بين فعل الشخصية المسرحية وما تقدم من قضايا و أفكار ، وما تكشف عنه من آراء ، ليقربها من الطفل ، وييسر عليه الاندماج معها ، و بالتالي التأثر بما يريده الكاتب من قضايا وقيم وأفكار و أنواع سلوك سوية ، سواء لتثبيتها في نفس الطفل ، أو تنمية الإحساس بها لديه ، لتشكيل مستقبله تشكيلا سويا صحيحا .

ووجود المكان و الزمان المناسبين ، لأجزاء الحدث ، ووضوح العلاقات في هذا الحدث و تحديدها فكريا ، بحيث لا تتجاوز مستوى المرحلة السنية للأطفال ، الذين يقدم لهم النص المسرحي : كل ذلك مما يهيئ الطفل لحسن التمثل ، و الفهم و الاستيعاب ، فإذا ما أضفنا إلى ما سبق كون الشعر بموسيقاه هو الإطار الموظف لتشكيل النص المسرحي ، أدركنا ثراء هذا النص ، وأدركنا أيضا مدى التأثير فيهم نتيجة اجتماع : الفكرة ، و الصوت ، و الحركة ، و النغمة ، و الصور الشعرية المكثفة القريبة من مستوى الأطفال .

عرض و تحليل للمسرحية :

وتتألف مسرحيه " النهر " من خمسه مشاهد في الأول منها يعرض الكاتب لمعظم شخصياتها وهي كثيرة متنوعة : النهر – الأطفال – مروان – البطات – الصفصافة – الكناري – البطة – الأرنب – الرجل الغريب – شجرة التفاح – العصفور الغريب – سرب النحل ، وإن كانت الأربعة الأخيرة قد بدأ ظهورها بالتدريج منذ الفصل الثاني حتى الخامس الذي ظهر فيه سرب النحل .

وكثرة الشخصيات يمكن أن تعوق الطفل عن التمثل و الفهم والاستيعاب ، لكن وضوح العلاقات بينها ، وتحديدها في بنية المسرحية ، هو العاصم من الإعاقة ، وهنا سوف نجد النهر ، ذلك المجرى المائي العذب الرقراق ، يتسع ليكون مصدرا للشرب فيروى الظماء ، من طيور وحيوانات ونبات وبشر ، كما يكون مرتعا للعب من يسبح فيه كالأطفال ، و البط ، وهكذا يتسع صدر النهر لتأوي إليه كل الشخصيات ، في تآلف وتواد وتعاطف ، برغم ما قد يكون بين بعضها وبعض من تنافس ، من ثم فهو رمز للحب الفياض ، و الصفاء الذي لا يتكدر ، و العطاء الذي يتدفق ولا ينقطع ، وتلك قيم أخلاقية ما أحوجنا إليها

، ليس فقط لغرسها في و جدانات أطفالنا ، بل لتنمية إحساسهم بها ، حتى يشبوا عليها .

وسوف نجد لغة الشاعر مجسدة كل ما سبق ، وبصورة تناسب الأطفال ، حيث نجد الجمل القصيرة البسيطة المتناغمة ، المتتابعة في يسر وسلاسة ، فلا تباعد بين أطرافها ، حتى ليسهل غناؤها على الأطفال ، وكأنني بالشاعر قد كتب هذا النص من أجل ذلك فعلا[٣١] ، و الصورة البيانية الواضحة الجميلة برغم بساطتها ، واتصالها بحياة الطفل ، وعينيات واقعه المعيش ، فمكوناتها ليست بالبعيدة عنهم ، أو الغريبة عليهم ، مما يسمح للطفل بتذوقها ، وإسهامها في صقل وتنمية ذوقه وحاسته الجمالية في الوقت نفسه ، وهنا يأتي دور "التكرير" كظاهرة فنية يوظفها الشاعر هنا خير توظيف لتحقيق هذه الغايات التي هي من صميم "أدب الطفل التنموي" ، وذلك خلال هذا النشيد الذي يكرره النهر ، وسوف نجد التكرير فيه على مستوى الأصوات ، و الكلمات والجمل :

مثل عين الديك مائي

مثل ذرات الضياء

أنا نهر الحب

أنا فيض القلب

صافيا أنساب

رائعا أنساب[٣٢] .

وهكذا يتجاوب الأطفال و النهر ، حتى لينادونه بهذا النداء الحبيب إليهم و إلى النهر على حد سواء ، و الكاشف عن عذوبتهم ورقتهم جميعا أيضا :

يا نهر الأطفال

يا نهر الأطفال

وهو نداء يتكرر خلال المسرحية كثيرا لتأكيد هذا الاتصال ، وذلك التجاوب .

بل إن هذا التجاوب ليتسع ليضم إلى النهر و الأطفال البطات ، وشجرة الصفصاف و الكناري والأرنب ، وهم يمثلون الجانب الخير في المسرحية .

لكن الشيء اللافت للنظر هوا الصور البيانية الجميلة التي يثرى بها الشاعر نصه الدرامي ، عندما يجسد أخلاق النهر ، ومظاهر عطائه ، وهى صور قريبة من الأطفال لغويا وفنيا ، لأنها مستمدة من حياتهم ، وما بين أطرافها من علاقات بسيطة واضحة ، كما أنها مختارة بعناية ، لتشكل من المشاعر

والمعاني ما يستطيع أطفال المرحلة المتأخرة من الطفولة (٩-١٢ سنه) إدراكه بيسر لاتصال مكوناتها بحياتهم :

مما يقوله الأطفال للنهر:

- يا كنز الحقول (ص٥١)
- نهرنا فنان (ص ٥٢)
- أنت نشيد الأرض الأخضر (ص ٥٤)

ومما تقوله الصفصافة للنهر:

- أحنو عليك والتوى
- ومن العذوبة أرتوى (ص ٥٩)

ومما تقوله البطات للنهر :

- صدرك يا نهر الأفراح (ص ٦٠)

ومما يقوله الجميع للنهر :

- ينبت في شفتيه الورد (ص ٦٤)

ومما يقوله النهر للأطفال :

- تغسل الشمس بمائي
- خدَّها عند السماء (ص ٥٣)

و عن الصفصافة :

- أسبلي أغصانك الخضر النضيرة (ص ٥٨)

بل إن **المشهد الأول** كله تسوده مثل هذه الصور الرقيقة الجميلة ، وتهيمن عليه مفردات تفيض رقة وعذوبة ، وتكشف عن خيرية هؤلاء الخيرين : النهر ، والأطفال ، والبطات و الصفصافة و الكناري والأرنب .....

وفى **المشهد الثاني** تظهر شخصية الأرنب خائفا قلقا ، جاء يبلغ الجميع بخبر ذلك الصائد الإنساني الذي سوف **يمثل جانب الشر** في هذه المسرحية ، في مقابل جانب الخير الذي يمثله النهر ورفاقه ، وسوف نجد الشاعر يحقق التلاؤم بين الشخصية و ما عرف عنها لدى الأطفال ، مما يجعل قبولهم لها سهلا ، وتعاطفهم معها أو نفورهم منها ممكنا ، ومنطقيا في الوقت نفسه ، حسب توظيف الشاعر له .

فالأرنب مثلا يمكن أن يعيش في الحقول وبين الشجر ، ولا يطعم إلا العشب الطري ، يقول الأرنب عن نفسه :

- كنت عند المنحدر
- أقضم العشب الطريا
- ناعم البال ، خليا[٣٣] .

أما الصياد الذي سوف يكدر صفو هؤلاء الرفاق ، و "يحول" سعادتهم إلى شقاء عندما يفرض سلطانه على النهر ، ولا يسمح لحد من هؤلاء الرفاق بالشرب منه إلا إذا دفع دينارا من ذهب ، فسوف نجد كل صفاته تجسيدا للقسوة و الغدر ، ويصور الشاعر ذلك بصورة قريبة من مدارك هؤلاء الأطفال ، الذين أشرنا إلى أن المسرحية تناسب سنهم وهم من (٩ –١٢ سنة) ، حيث توضح الصورة غربته مقترنة بالظلام ، مما يستثير الغموض حوله ، و النفور منه في نفوس الأطفال ، وعبوسه مقترنا بالغدر ، وصلابته مقترنة بالصخر ، فإذا ما اتصل كل ذلك بطول بدنه .....: كان ما سبق كافيا لإبرازه في صورة منفرة مخيفه مقلقة ، تتناسب وكونه مصدرا للشر ورمزا له ، فى مقابل سهولة النهر وعذوبتة وسلاسته وخيره الدافق للجميع .

يقول الأرنب واصفا له :

"– فجأة خشت ورائي قدم

- وإذا وجه غريب مظلم
- عابس كالغدر
- يابس كالصخر
- كان عملاق البدن

- وبدا لي عندما حدقت ،
- مجهول الوطن
- تضرب الأرض خطاه
- سيفه تقطر موتا شفرتاه[٣٤] .

ومن ثم بدأ يتحدى الجميع ويفرض عليهم إرادته و مشيئته ، و أجبرهم على الابتعاد عن النهر ، وهكذا يتشكل "**الصراع** " بين الخير ممثلا في النهر ورفاقه ومرتاديه ، و الشر ممثلا فى هذا الغريب الوافد المتسلط القاسي ، الذي بدأ الجميع يتكتلون ضده ، و إن لم يعلنوا موقفهم ، لكنهم تجمعوا بعيدا عن النهر في أعماق الغابة استجابة لأمر هذا الغريب الظالم[٣٥] للتفكير في كيفية مواجهته والخلاص منه .

وفى هذا الفصل بدأت اللغة الموظفة تتحول من الرقة والعذوبة إلى الخشونة ، ويسودها "القلق و الاضطراب و الرعب و الخطر والشر و الهجوم والتحدي" ، وغير ذلك من المفردات كاشفة عن التحول من الأمان والاستقرار إلى هذا القلق و الرعب ، لظهور هذا الإنسان الظالم المغتصب ، لكن ذلك لم يُخفِ جمال الصور الشعرية التي وظفت للكشف عما سبق . وهنا يجب أن نشير إلى أن جمال الصور اتجاه فني ، يتصل بالكشف عن القيمة الجمالية حتى ولو كانت المفردات الموظفة

ذات دلالات توحي بالرعب والقسوة والشر ، ولا تعارض بين هذين الجانبين ، بل العكس هوا الصحيح ، إذ يتآزر تشكيل الصورة مع الدلالة ويسهم في إبرازها والتأثير في المتلقي ، ويمكن أن نتأكد من ذلك بملاحظة النص السابق الذي يصور فيه الشاعر هذا الإنسان الظالم المغتصب المستبد .

- ثم يأتي **المشهد الثالث** يتكشف فيه "**رد الفعل**" ممثلا في حرص الجميع على هذا النهر وتمسكهم به ، فلا حياة للبط بدونه ، ولا حياة للكناري بدون مائه ، بل إن إعلان شجرة الصفصاف تمسكها هي وبقية الرفاق بهذا المكان الذي تربوا فوق ضفتيه ، ونموا على مائه ليعد "**رمزا**" **للتمسك بالوطن** ، ولكن هل بإمكان الأطفال إدراك هذا الرمز حتى يحقق هذا النص غاية من غايته ؟ وهى غرس حب الوطن في نفوس الأطفال وتنمية ذلك الإحساس في نفوسهم .

الواقع أن التشكيل اللغوي لهذا الرمز أيضا في مستوى أطفال مرحله الطفولة المتأخرة ، فالصور المشكلة له ، ليست مكوناتها بالغريبة عليهم ، ولا تركيبها يغمض عليهم فهمه واستيعابه ، كما يسمح لهم خيالهم بادراك أبعاد هذه الصور ، التي تدور حول صلة الإنسان بوطنه وملكيته لأرضه التي نشأ عليها ، ونمت حياته فوقها ، وارتبطت آماله وأحلامه بها ، حتى صار هذا الإنسان جزءا من ذلك الوطن .

تقول الصفصافة :

- "النهر للجميع
- بمائه الوديع
- لمن تربوا فوق ضفتيه
- ولونوا أحلامهم عليه
- جذورنا في قاعه
- ونحن من أضلاعه"[٣٦] .

وهكذا ينتهي هذا المشهد وهم عازمون على التصدي لهذا الغريب السارق ومن ثم يتوجهون إليه .

ويكشف **المشهد الرابع** عن جانب آخر من الصراع يتمثل في محاولة المحتاجين إلى ماء النهر التوسل إلى هذا المغتصب حتى يأذن لهم بالشرب منه ، خاصة وقد بلغ بهم العطش أشده ، وقدموا له ما في استطاعتهم ، لكن شيئا من ذلك لم يحقق غايته ، وهو لا يريد إلا .. المال .. الدينار .. الذهب[٣٧] ، الذي استولت عليه الرغبة فيه ، بل لقد تضاعف تهديده لهم بالسيف محذرا كل من يقترب من النهر ، وهم في الوقت نفسه لا يستطيعون أن يقدموا له ذهبا .

بل إن عصفورا غريبا سقط على ماء النهر يروى ظماه الشديد ، ولم يكن يعلم بتهديد الغريب المتسلط ، فأنزل به عقابه

وقطع رأسه بسيفه على مرأى ومسمع من الطيور و الأطفال و النهر والأرنب والصفصافة ، حتى إنهم جميعا صرخوا في وجهه ، مقررين أنه مجرم أثيم ، مما ضاعف من إحساسهم بوجوب التصدي له و التخلص منه ، ولكن كيف ؟ تلك هي "**عقدة**" المسرحية ، وهى عقدة بسيطة جدا ، تتناسب فنيا و فكريا مع مستوى الأطفال لأنها تتشكل من علاقة أحادية بين النهر وأصحابه وذلك الغريب السارق المتسلط .

هكذا يأتي **المشهد الخامس** كاشفا عن "**الحل**" وهو الحل بسيط أيضا ، جاء نتيجة تصاعد الحدث ، ففي الوقت الذي اشتد فيه تصميم الجميع على الانتقام بعد مقتل العصفور الغريب ، إذا بسرب من النحل يصل إلى هذا المكان بحثا عن الماء بعد أن ضاقت بجفاف الأزهار التي جف رحيقها بحبس الماء عنها ، حتى إن هذا السرب أطلق هذا العصفور الغريب ، للبحث عن سبب هذا الجفاف ، وما إن علم السرب بمقتل هذا العصفور حتى تآزر الجميع في مواجه هذا السارق المتسلط الذي تحطم أمام اتحاد الطيور والغابات والأشجار وأسراب النحل ، في حركة فدائية زاحفة مهاجمة قضت عليه[٣٨] .

ويمتد الرمز هنا ويتسع ليوحي بموقف المظلومين والمحرومين في كل مكان ، وانتصارهم على ظالميهم و

مغتصبيهم ، وأن هذا الأمر ليس أمر نهر وطيور وأطفال وإنما هو موقف الإنسان من ظالميه في كل مكان وزمان ، ووجوب التخلص من الغاصبين والمحتلين وقد وضح ذلك على لسان الصفصافة وهى تدعو بأعلى صوتها للتصدي للغاصب :

- (أشجار الدنيا معنا
- غابات الدنيا معنا
- كل المحرومين
- كل المظلومين
- في هذه الدنيا معنا) [٣٩] .

وهكذا **تنتهي المسرحية** بانتصار الخير وهزيمة الشر وعقابه ، وهي نهاية تريح **الأطفال** نفسيا ، إذ تشبع لديهم الرغبة في مكافأة الخير ، ومعاقبه الشرير ، بالإضافة إلى أنها نهاية منطقية ، يساعد تقبلهم لها على غرس القيم التي تدعو إليها المسرحية في نفوسهم ، مثل حب الوطن ، و الحفاظ عليه ، و التعاون الجماعي ، ومساعدة المحتاجين و الظالمين ، بل وتنمية الإحساس بهذه القيم في نفوسهم ، وذلك مما يحرص عليه "أدب الأطفال التنموي" .

وقد تأكد مما سبق بفضل ذلك الشكل الدرامي البسيط لوضوح العلاقات فيه ، كما كانت الصياغة الفنية من تكرار

متنوع ، وصور فنية قريبة ، ولغة سهلة ملائمة داعمة لتحقيق هذا النصر للغايات المنوطة به .

برغم ذلك فلهذه المسرحية **عدة جوانب سلبيه** لعل في مقدمتها كثرة الشخصيات ، فشخصية مروان يمكن الاستغناء عنها ، وليس لها دور فاعل في بناء المسرحية ، بالرغم من ورودها في أكثر من موضع في المسرحية ، كما في الصفحات [٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٤٧] ، فدور مجموعة الأطفال يغنى عنها .

وإذا كنا نحث على التوظيف الفني لنتائج العلم والتكنولوجيا في القصص التي يقدمها "أدب الأطفال التنموي" ، فإن ذلك يعنى أن تصبح نتائج العلم والتكنولوجيا جزءا من بنية القصة تسهم في تشكيلها الفني كما في قصة "العقل المفقود" التي سبق أن أشرنا إليها ، لكن الحديث عن الصعود إلى القمر جاء في الفصل الأول من هذه المسرحية لمجرد الكشف عن شيء غريب يحدث ، دون أن يسهم هذا الحديث في بناء المسرحية ، ونموها ، بحيث إن الاستغناء عنه ، وحذف هذا الحديث حوله الذي تم بين مروان والنهر لا يمس فنية المسرحية ، ولا يقلل من تحقيقها للأهداف المنوطة بها .

كما أن هناك بعض المفهومات الدينية التي يجب أن نقدمها للأطفال بصورة صحيحة ، تثبت العقائد ، ولا تهزها ، بمفهوم القدر مثلا ، يجب أن يفهمه الأطفال على انه إرادة الله ﷻ النافذة طبقا لمشيئته و إرادته ﷻ ، وعلى الإنسان المؤمن الصحيح الإيمان أن يسلم بذلك ، ويثق في فعل الله سبحانه وتعالى ، ويؤمن بالقدر ، أما أن يقول الشاعر على لسان النهر ورفاقه في الفصل الثاني ، وهم يحثون الأرنب و البطة على العناق و التصافي ، تمهيدا لمواجهة خطر هذا الإنسان الظالم المغتصب :

"ولنواجه بتآخينا القدر"

فأتصور أن وضع كلمة الخطر مكان القدر أفضل وأنسب ، حتى لا يضطرب فهم الأطفال للقدر ، وتستقر معتقداتهم استقرارا صحيحا ، خاصة حول مفهوم القدر .

الخاتمة

أرجو أن تكون فكرة " أدب الأطفال التنموي " قد اتضحت من خلال الجانب التنظيري الذي ناقش أهم محاور هذه الفكرة وهي : الصحوة الإسلامية , واستثمار نتائج العلم والتكنولوجيا , والثقافة التنموية والقيم الجديدة .

كما أرجو أن تكون النماذج التطبيقية من قصة ومسرحية قد كشفت عن كيفية تجسيد هذه المحاور في أدب الأطفال التنموي .

ولعل من أهم الملامح التي يمكن أن يتميز بها هذا الأدب اهتمامه بمستقبل الطفل وتهيئته لمواجهة المتغيرات بفاعلية ونجاح , حتى يواجه القرن القادم وهو القرن الحادي والعشرين , وهو ما يميز نماذجه الأدبية عن غيرها التي تهتم بحاضر الطفل غالبا .

وكذلك تدخل الكاتب وتوجيهه للحدث في القصة أو المسرحية الوجهة التي يراها مؤثرة في الأطفال , برغم أن ذلك قد يعد عند بعض النقاد خروجا على الحيدة التي يجب أن يلتزم بها كاتب القصة أو المسرحية , لكن هذا التوجه , وذلك التوجيه في الوقت نفسه بالطريقة التي بها في النماذج المعالجة هنا , لا أتصور أنه يقلل من فنية الأعمال التي ظهر فيها , ما دامت قد حققت هذه الأعمال الغايات الفنية والفكرية والمستقبلية المنوطة بأدب الأطفال .

كما مثل التكرير بمستوياته المختلفة ملمحا فنيا آخـــر تعـــتمد عليه النماذج الأدبية التي تمثل هذا الاتجاه .

هذا بالإضافة إلى الوسائل الأخرى التي كشف عنها التحليل للنصوص المختلفة .

وأرجـــو أن يحظـــى هـــذا الاتجـــاه باهتمام الحريصـــين علـــى مســـتقبل الـــوطن وأطفاله , وأن تتعاون جهود أخرى مع هذا الجهد المتواضع لاستكشـــاف أبعاد جديدة " لأدب الطفل التنموي " موضـــوعيا وفنيا , رعاية لأطفالنا , وخدمة لديننا وأمتنا .

والله من وراء القصد , وهو الهادي إلى سواء السبيل

* الهوامش :

(١) انظـر د. إحسـان عباس كتاب العربي (٢٤) القصة العربية أجيال .. وآفاق ٨٩/٧/١٥ - ص٩

(٢) السابق نفسه ص١٦

(٣) انظـر د. عـبد المحسـن طه بدر الرؤية والأداة - ط٣ دار المعارف - القاهرة - المقدمة

(٤) انظـر د. محمـد رجب البيومي - أبو الحسن الندوي سيرة ذاتية

(٥) أبو الحسن علي الحسني الندوي قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال , نشر مؤسسة الرسالة إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية , العدد (٤) ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م - ص٨٢

(٦) السابق نفسه وصفحة ٨٣

(٧) انظـر المعجـم الوسـيط ج١ مجمع اللغة العربية , المكتبة العلمية طهران - ص١٩٠

(٨) قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال - ص٨٣

(٩) انظر د. غسان يعقوب " تطور الطفل عند بياجيه " دار الكتاب اللبنانـي . بيروت ١٩٨٢م - ص٨١ وكذلك انظر للمؤلف : الـنص الأدبـي للأطفـال ط١ إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م - ص٣١

(١٠) السـابق نفسه والصفحة نفسها , وكذلك قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال - ص٨٣

(١١) سورة الصافات آية ١٧٢, ١٧٣

(١٢) قصص من التاريخ الإسلامي - ص٩٠

(١٣) السابق نفسه - ص٩٧

(١٤) السابق نفسه والصفحة نفسها

(١٥) السابق نفسه - ص١١٤

(١٦) انظر قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال - ص١٣ , وكذلك انظر سورة يوسف آية (٦٤)

(١٧) انظر السابق نفسه والصفحة نفسها

(١٨) انظر على سبيل المثال القصص التالية في هذه المجموعة : المضيف الجائع ص٢٠ , شهامة اليتيم ص٣٣ من دون أحد ص٤٥ , علـى الخشـبة ص٦١ , رسالة إلى رسول الله ﷺ ص٨٢ , الغـرم بـدل الغـنم ص٨٥ , رحلة سيدنا عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس

(١٩) ص٩٠ , قدر الشيء حق قدره والجزاء الأوفى عليه ص٩٦ , لا حاجـــة إلى ذكر اسمي ص١٠٥ , جواب كان السبب في إسلام مئات ألوف من الناس ص١١٤

(٢٠) قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ص١٥

(٢١) سورة التوبة , آية (٤٠)

(٢٢) قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ص١٤

(٢٣) السابق نفسه ص١٦, ١٧

(٢٤) انظر ذكاء الحر : الطفل العربي وثقافة المجتمع , دار الحداثة – بيروت لبنان ط١ سنة ١٩٨٤م ص٤٧ وكذلك انظر النص الأدبي للأطفال ص٣٨

(٢٥) انظر على سبيل المثال الصفحات : ١١٧, ١٢٤, ١٢٥

(٢٦) انظـــر : الـــنص الأدبي للأطفال . إصدار ونشر رابطة الأدب الإســـلامي العالمية ١٤١٤هـــ / ١٩٩٣م . ط دار البشير . عمان , الأردن ص٣٢

(٢٧) السابق نفسه ص٣٦

(٢٧-٢٨) انظـــر: محمـــد محمود القاضي . وأسماء صلاح الدين , ذكاء الصحابة , سلسلة الأذكياء-أطفالنا) مشروع الإنتاج الإعلامي لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ١٩٩٥م

(٢٩) عفاف عبد الباري . مغامرات الجيل العلمية . العقل المفقود . دار الجيل – لبنان – بيروت (ب ت)

(٣٠) سليمان العيسى . النهر . منشورات وزارة الثقافة السورية . دمشق ط١ سنة ١٩٧١م مسرحية شعرية غنائية للأطفال

(٣١) انظر السابق نفسه ص١١ : ص٣٣

(٣٢) انظر على سبيل المثال ص٤١, ٤٢, ٤٣ من المسرحية نفسها

(٣٣) السابق نفسه ص٧٥

(٣٤) السابق نفسه ص٧٦

(٣٥) السابق نفسه ص٩٥

(٣٦) السابق نفسه ص١٠٢

(٣٧) انظر السابق نفسه ص١٢٠, ١٢١, ١٢٥

(٣٨) انظر السابق نفسه ص١٣٨

(٣٩) السابق نفسه ص١٣٤

(٤٠) انظر السابق نفسه ص٤٩, ٥٠

(٤١) السابق نفسه ص٨٠